

أبو الحسن تفرشيان

**البارزاني لن يستلم لأحد**

## المقدمة

ان اجتياز البارزاني الخالد وقوات البارزاني ومناضلي ومثقفي كردستان العراق الحدود الى كردستان إيران الحرة في ١٩٤٥، ومساندتهم ودعمهم لاقامة وتثبيت جمهورية كردستان الديمقراطية، يعد من الاحداث السياسية الهامة في تاريخ الحركة الكردية في هذا القرن. لقد كان هذا الحدث والاحداث التي تلتها من دفاع البارزانيين عن جمهورية كردستان وعن انفسهم وانسحابهم وعائلاتهم عبر الجبال الوعرة والوديان والشعاب المغطاة بالثلوج على الحدود، والتضحيات التي قدموها إبان تصديهم لعدوان الجيش الإيراني على طريق انسحابهم، اضافة الى المسيرة التاريخية للبارزاني الخالد ورفاقه الى الاتحاد السوفييتي وبقائهم هناك اثنتي عشرة سنة، ولا تزال محل دراسة وبحث واعجاب الكتاب والباحثين الاجانب قبل باحثينا وكتابنا.

كان دعم البارزاني الخالد وقواته لترسيخ الجمهورية اساساً راسخاً منح الثقة لقادة الجمهورية والحزب الديمقراطي وكل الشعب الكردي، وحافزاً على توقع مستقبل مشرق، وحتى التحقيقات التي جرت حول معارك البارزانيين بعد سقوط الجمهورية، فان الشجاعة والبسالة التي قاوموا بها الاعداء جعلت الكثير من الباحثين يقولون أنه كان بإمكان الجمهورية أن تدوم لو لم يستلم قادتها بتلك السرعة، ويتوقعون رضوخ العدو لبعض مطالب الشعب الكردي.

ويجب ان لانسى ان بقاء قوات البارزانيين قرب مهاباد وضواحيها كان تهديداً كبيراً للجيش الإيراني، وكان يشاع في مهاباد ان البارزانيين سيهجمون عاجلاً ام آجلاً ويحررون المدينة ويتقدون القاضي ورفاقه، وهو ما أعاق جيش العدو عن تنفيذ مخططه في التقتيل والقمع داخل مهاباد او حتى التفكير بذلك.

وعلى العكس من الوعود التي اطلقها اللواء همايوني، قائد الجيش الموجه الى كردستان، تم اعتقال القائد القاضي محمد واخيه صدر القاضي وابن عمه سيف القاضي وقدموا الى محكمة عسكرية صورية، وبعد قرابة ثلاثة اشهر ونصف من السجن، تم اعدامهم شنقاً في ليلة ٣٠ آذار ١٩٤٧ في مدينة

مهاباد. وهنا نرى من المناسب الرد على السؤال التالي: لماذا لم يهاجم البارزانيون مهاباد لينقذوا القاضي ورفاقه من السجن؟

يتحدث الرئيس مسعود البارزاني في كتابه الشهير «البارزاني والحركة التحررية الكردية - ثورة بارزان ١٩٤٥-١٩٥٨» عن حادث قرية (سيلوي) ويقول انه كانت هناك معلومات تؤكد ان عدداً من اغوات عشيرة (مامش) تسلموا السلاح من الحكومة الإيرانية، ووعدوها باحتلال المناطق المهمة على سفح جبل (سپيريز) حتى وادي (گادر)، وكان هذا يمثل تهديداً لمصير البارزانيين، لذا توجهت قوة لهم في ٢٣ شباط ١٩٤٧ الى قرية سيلوي. حيث كان اغوات مامش يعقدون اجتماعاً هاماً لهم، ورغم ان القواة البارزانية كانت مخولة بالقاء القبض على الاغوات ونزع اسلحتهم واخذهم اسرى الى (أشويه) الا ان سوء الفهم بين الجانبين، عند وصول القوة الى القرية، ادى الى وقوع معركة مفاجئة قتل فيها اثنا عشر شخصاً من مامش واستشهد اثنان من پيشمرگه البارزاني.

وادت هذا الحادث غير المتوقع الى تأزم الوضع وفقدان الثقة بين الجانبين. ويقول (وليم ايگلتن) في كتاب «الجمهورية الكردية عام ١٩٤٦» عرض حادث سيلوي حركة البارزاني باتجاه مهاباد لإنقاذ القاضي محمد وبقية الاسرى، الى الخطر اذ تعتبر مهاباد معقل عشيرة مامش وحلفائها.

بعد فرار قادة جمهورية أذربيجان واعتقال واعداد قادة جمهورية كردستان لم يبق ثم خطر يهدد النظام الإيراني غير قوات البارزانيين، خاصة وأن هذه القوة كانت متمركزة قرب الحدود السوفييتية وكان يعتقد ان المعارضين في أذربيجان وكردستان، سيتمكنون بفضل هذه القوة من اعادة تجميع قواهم ويشوروا من جديد. كما كان النظام متضيقاً منذ البداية من هذه القوة (الاجنبية) لما له من ذكريات مرة معها. حيث لقن البارزانيون الجيش الإيراني دروساً قاسية في معارك (قاراوه) و (مامشا) ايام جمهورية كردستان، ومع ذلك كان مسؤولو الجيش الإيراني يعلمون ان مواجهة هذه القوة المقاتلة الشجاعة ليس بالامر اليسير، وان الانتصار عليها في الحرب حلم لا يمكن تحقيقه، إذ ان البارزانيين كانوا يخوضون صراعاً من اجل البقاء بعد أن فقدوا الارض والمأوى في كل من كردستان العراق وإيران. لذا شرع المسؤولون في

الحكومة يخططون لخداعهم، فدعوا البارزاني الخالد الى طهران للقاء مع الشاه ورئيس الوزراء ورئيس اركان الجيش والمسؤولين الآخرين لإيجاد حل للمشكلة بين البارزانيين والحكومة الإيرانية، وهناك عرضوا على البارزاني خيارات على أن يختار أحدها، ومنها:

١- اللقاء البارزانيين اسلحتهم، والاستسلام لإيران.

٢- الخروج فوراً من الاراضي الإيرانية والعودة الى حيث أتوا.

يذكر ان تلك المباحثات جرت في عز الشتاء في شهر كانون الثاني ١٩٤٧ وكان على البارزانيين في حالة قبول الخيار الثاني ان يسلكوا طريقاً جليلاً وعراً تغطيه الثلوج، وحتى في حالة اجتيازهم لهذا الطريق ووصولهم الى كردستان العراق فان الطائرات العراقية والانكليزية كانت ستستقبلهم بضرباتها الجوية، اذ كان البارزانيون في صراع مع العراق ايضاً. كما ان تركيا كانت قد استعدت لضربهم في حال اقترابهم من حدودها، لذا كان شاه إيران يعلم ان ملا مصطفى البارزاني لن يقبل بهذا الخيار ولن يعرض عشيرة بارزان في هذا الشتاء القاسي الى الهلاك والضياع، وكان البارزاني لا يريد اللجوء الى الخيار الثاني ويستسلم، لان (التراث السياسي) البارزاني كان يخلو من إلقاء السلاح والاستسلام، كما يذكر (تفرشيان) ان البارزاني كان يقول دائماً لرفاقه وبيشمركته: «اذا ألقيت سلاحك واستسلمت فان ذلك يعني انك رضيت بان يقرر الآخرون مصيرك، وعندها ستضطر الى تنفيذ قراراتهم مهما كانت» وكان يقول ايضاً: «من قال بأن ملا مصطفى يستسلم؟، ان ملا مصطفى لن يستسلم لأحد».

وكان البارزاني بدوره يعلم ان الإيرانيين وخاصة رئيس الوزراء (قوام السلطنة) ينوون خداعه الإيقاع به، كما يعلم ان رفضه للخيار الاول (اي الاستسلام لإيران) سيؤدي بالإيرانيين الى اعتقاله وقطع طريق العودة عليه، فقد كان تاريخ الإيرانيين حافلاً بالخداع ونكث الوعود مع ضيوفهم. لذا قال للشاه الإيراني: «ليس عندي اعتراض على الخيار الاول، ولكن مثل هذا القرار المصيري لا يتخذ إلا الشيخ احمد لانه هو رئيس العشيرة وله الأمر في النهاية»، وهكذا عاد البارزاني الى بيشمركته وعشيرته متظاهراً بقبول هذا الخيار، ودون اطلاق الإيرانيين على قراره النهائي.

وبعد عودة البارزاني ومشاورة اخيه الاكبر (الشيخ احمد) والمسؤولين الآخرين، قرروا عدم القبول بأي من الخيارات التي طرحها النظام الإيراني، ومحاولة البقاء في الجبال الوعرة حتى الربيع تم التوجه شمالاً نحو حدود الاتحاد السوفييتي. كان البارزاني يريد بذلك ابلاغ عائلات واطفال عشيرة بارزان مأمّنهم ثم يبحث مع بيشمركته عن سبيل لتحقيق هدفهم وهو حسب تعبيره (استقلال كردستان). ولكن الهجمات الشرسة والمفاجئة للجيش الإيراني حالت دون تنفيذ هذا الخطة، وبدأت معارك دامية ومستمرة بين البارزانيين والجيش الإيراني. فاضطر البارزانيون للتوجه الى المناطق الاكثر وعورة، حيث اصبحوا بين مطرقة هجمات الجيش الإيراني المتتالية وسندان البرد والجوع والعري، كما ان الطائرات الحربية الإيرانية كانت تنفذ هجمات عشوائية تقتل كل يوم عدداً منهم، حيث كان هناك قرار هام لشاه إيران يقول: «لا تدعوا البارزانيين يفلتوا، واقتصفوا قافلة عائلاتهم لوضع حد لفضائح الجيش وتلقين البارزانيين درساً يمنعهم من التفكير في مثل ما فعلوا مرة اخرى».

ويقول البارزاني الخالد: «كانت نقطة ضعفنا في تلك المعارك وجود عائلاتنا ونسائنا واطفالنا في ساحات القتال وتحت رحمة نيران وقنابل العدو. وكان العدو قد اكتشف نقطة الضعف تلك فكان يقصف عائلاتنا واطفالنا قصفاً وحشياً شرساً». وبالرغم من ذلك وبفضل شجاعة وبسالة البارزانيين اجتازت عائلاتهم الحدود وعاد الجيش الإيراني يجبر وراءه اذيال الخيبة. ولولا تلك الظروف الحرجة لما تجرأ الجيش الإيراني حتى على التفكير في اخراج البارزانيين من ارضها بالقوة، وكان من الممكن ان يفكر البارزاني بمواصلة النضال والتصدي داخل الارض الإيرانية لانه لم يكن يفرق بين اجزاء كردستان، يقول (تفرشيان) في مذكراته هذه: «قال لنا البارزاني اتمنى ان ارفع راية كردستان ذات يوم على بقعة من ارض كردستان، وسواء عندي اذا كانت البقعة تلك في كردستان العراق او إيران او تركيا».

بسبب الضغوط المستمرة للجيش الإيراني، والبعد عن الحدود السوفييتية، والشتاء والبرد، تخلى البارزانيون عن فكرة اللجوء الى الاتحاد السوفييتي. فتفاوض الشيخ أحمد البارزاني، قرب الحدود العراقية، مع الحكومة العراقية

لإعادة البارزانيين الى وطنهم. وبعد الإتفاق اجتاز البارزانيون الحدود الى العراق عبر وادي گادر، لكن البارزاني و صفوة پيشمرگته البالغ عددهم زهاء ( ٥٥٠ ) شخصاً ثبتوا في المناطق الحدودية الى ان وصلت العائلات البارزانية الى (ديانه) بأمان.

وهكذا لم يستسلم الزعيم البارزاني ولم يلق سلاحه وبقي يتربص الفرصة المواتية ليحقق آمال الشعب الكوري. لذا سعى لقضاء تلك الفترة في المناطق الجبلية، الا ان تكالب تركيا وإيران والعراق وتعاونهم المستمر لقمع البارزانيين، حال دون ذلك، فاضطر البارزاني وبيشمركته الابطال للتوجه شمالاً نحو الاتحاد السوفييتي، فقطعوا خلال حوالي عشرين يوماً مسافة (٣٥٠) كيلو متراً وعبروا نهر (آراس) الى الاراضي السوفييتية و سطروا بمسيرتهم تلك صحيفة مشرفة في تأريخ حركة شعب كردستان من أجل تحقيق التطلعات المشروعة لهذا الشعب.

ان لجوء البارزاني الخالد الى الاتحاد السوفييتي برفقة اكثر من (٥٠٠) مقاتل شجاع، يوحي بانه كان ينوي العودة سريعاً الى كردستان ليستأنف نضاله عند الفرصة المناسبة، وتظهر هذه الحقيقة بجلاء في العديد من اقوال البارزاني الخالد واحاديثه مع كاتب هذه المذكرات الذي يقول: «كان البارزاني يعتبر الاتحاد السوفييتي ملاذاً آمناً لجأ اليه بصورة مؤقتة، ليعود الى العراق في اقرب فرصة سانحة للعمل على إقامة حكومة كردستان» كما كان البارزاني يريد من ذلك عدم الاستسلام لأحد، وبقاء سلاحه في يده، وكان ايضاً يأمل الحصول على دعم السوفييت للحركة الكردية - ولكن من المؤسف ان بقاء البارزاني الخالد ورفاقه في الاتحاد السوفييتي طال أمده وكان حافلاً بالصعاب. وتعتبر قصص نضال و ثبات البارزانيين في الاتحاد السوفييتي وما عانوه من جراء سياسات ستالين الشوفينية جزءاً هاماً من نضال شعبنا لم يسجل منه الا النزر اليسير.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عاد البارزاني الخالد ورفاقه الى العراق عام ١٩٥٩، واستقبلوا في كافة انحاء العراق من (البصرة) وحتى (اربيل) استقبالاً يمثّل اعظم برهان على مدى فخر واعتزاز كافة ابناء العراق بأولئك الابطال الافذاذ.

القاريء الكريم:

ان ما تطلعون عليه في هذا الكتاب هو مذكرات الضابط الفارسي «ابو الحسن تفرشيان» الذي كان واحداً من الضباط الذي قادوا انتفاضة خراسان المجهضة عام ١٩٤٥، وهم من أعضاء حزب (توده) الإيراني انتفضوا ضد نظام الشاه، لكن افتقارهم الى الخبرة وعدم مساندتهم من جانب حزبهم ولا من جانب السوفييت أفضل انتفاضتهم، وبعد اعلان جمهورية أذربيجان الشعبية، انضم النقيب ابو الحسن ورفاقه الى جيش أذربيجان. وادى اعلان جمهوريتي أذربيجان وكردستان عدم الدفاع عن انفسهما، الى انضمام عدد من هؤلاء الضباط الى البارانيين، وحسب قول (ابو الحسن) كان عددهم عشرة ضباط انضموا في اواسط كانون الأول ١٩٤٥ الى البارانيين وعاشوا معهم وشاركوهم معاركهم ضد الجيش الإيراني وانسحابهم الى الحدود العراقية، وبعد الوصول الى الحدود تفاوض هؤلاء الضباط مع المسؤولين العراقيين واستسلموا للحكومة العراقية على امل التعامل معهم كلاجئين سياسيين ويمكنوا من مغادرة العراق الى حيث يرغبون، الا ان الحكومة العراقية اخلفت وعدها لهم وأسلمتهم الى النظام الإيراني.

وقد سجل ابو الحسن مذكراته خلال تلك الفترة، ونشرها في كتاب بعنوان «انتفاضة ضباط خراسان» اهداه الى ابنته (فريدة) وقد قمنا بتغيير عنوان الكتاب لدى ترجمته الى «البارزاني لن يستسلم لأحد» وهي مقولة للبارزاني الخالد سجلها (تفرشيان) في مذكراته، ورأينا ان هذا العنوان اكثر جاذبية للقاريء الكردي.

شوكت شيخ يزدين

١٩٩٦/١١/١٤ پيرمام

## مقدمة الطبعة الفارسية الأولى

القاريء الكريم

هذا الكتاب سرد لوقائع شكلت جزءاً من التاريخ الحديث لبلادنا، وقد كنت ذرة صغيرة من مكوناته. في شهر ايلول ١٩٤١ وفي خضم الحرب العالمية الثانية اصبحت ضابطاً ووقعت في الاسر في ايدي القوات السوفييتية، ثم قضيت عدة اشهر في سجن (عشق آباد)، وشاركت في انتفاضة ضباط خراسان. واصبحت ضابطاً في جيش أذربيجان: وشاركت في المعارك التي خاضها البارزانيون ضد الجيش الإيراني في نيسان ١٩٤٧، ولجأت الى العراق في نيسان ١٩٥٠ فأعادني السلطات العراقية الى إيران وهناك اعتقلت في سجون عديدة، وبعد انقلاب ١٩ أيلول تم إبعادي الى جزيرة خرج. ثم بعد ستة عشر عاماً ونيف من السجن اطلق سراحي في نيسان ١٩٦٣.

وفي هذا الكتاب اورد العديد من الاحداث وما سمعت ورأيت ضمن قناة صغيرة مررت خلالها بنفسى. وأؤكد انى كنت سمكة صغيرة ألقنتنى الامواج على صخور شاطيء هذه القناة ومن العجيب انى خرجت من كل ذلك حياً، لهذا لم يكن بامكاني ايراد معلومات وافية عن احداث ووقائع تلك الفترة التاريخية الهامة دون الرجوع الى الارشيف ووثائق تلك الفترة الاخرى، وقد حاولت جاهداً بالإعتماد على ذاكرتى، ان اروى كل ما سمعت ورأيت ولعبت فيه دوراً لابنتى التي التقيتها في برلين الشرقية عام ١٩٧١ بعد فراق دام (٢٥) سنة. املي ان تلقي هذه الوقائع النور على زاوية منسية من تاريخ بلدنا، لبناء مستقبل حقيقي لهذا البلد. وقائع هذه الأحداث حافلة بالاثارة والجرأة والتضححية بالنفس ولكن النتيجة السلبية لكل ذلك تثبت ان نمو المجتمع وتطوره مرتبطان بقوانين خاصة، تجعل التضحية الفردية والنضال الجماعي بدون علاقات وثيقة وارتباط بالجماهير ومطالبهم يؤديان الى نتائج غير مرغوبة، لذا ينبغي على الجميع وضع هذا نصب اعينهم.

ابو الحسن تفرشيان

ايلول - ١٩٧٦

## القسم الاول

انتفاضة ضباط خراسان

- والدي العزيز، اريد قصة، قصها علي!

- نعم كان ياما كان.

- لا، لا، لا اريد من هذه القصص، اريد قصتك!

- اذن، تريد قصة حياتي، جيد، فاستمع:

في ٢٠ أيلول ١٩٤١ أصبحت ضابطاً وكانت الحرب العالمية الثانية على أشدها، كان ذلك في وقت تعاني فيه بلادنا من الاحتلال الاجنبي<sup>(١)</sup>. وتم ارسالنا على الفور الى مناطق الصراع لنشارك في الحرب، فاوكلت الي مهمة توجهت لانجارها الى (مشهد) وكما يبدو كانت جيهاات القتال حينها في (باججيران) و(سرخس) والمناطق القريبة منها، ولم يحدث ان وقعت مواجهة بين جيشنا والجيش السوفييتي فتراجعنا من جانبنا قبل الوصول الى المكان المعين لنا.

كان الفوج المدفعي واحداً من الافواج المنسحبة، وكنت ضابطاً مدفعيةً وهذا ما جعلني لا انسى وصول تلك الوحدة الى المقر في الخامس أو السادس من آب، وكنت حينها في الواحدة والعشرين. وأرى من الأفضل أن أروي القصة كالتالي: أنا من (نيسساپور) وكان أقاربي ووالدتي هناك، ولما وصلت الى نيسساپور لم تتمكن والدتي من اللقاء بي غير يوم واحد، فقد واصلت رحلتي متصوراً أني سأنفع بلدي او على الاقل اسعى لانفع بلدي، كانت والدتي قلقة بشأن مصيري وتحاول ابقائي عندها بضعة ايام، الا اني خرجت متلهفاً الى (مشهد) للالتحاق بوحدتي.

كانت الفوضى تعم مشهد، وكانت الاسواق والمحلات تفتح ابوابها كل صباح كالمعتاد، ولكن بمجرد ان يقول احد ان الروس قادمون، كانت كافة المحال والاسواق تغلق ابوابها، وبعد نصف ساعة من ذلك كانوا يقولون ان الاشاعة كانت كاذبة، فتفتح المحال ابوابها. وكان العمل الوحيد الذي يؤديه المتبقون في المدنية من رجال الدولة، هو ابقاء المخابز مفتوحة ليحصل السكان على الخبز، وكانت العائلات قد هجرت المدينة دون صدور اي قرار بذلك من احد. ذهبت الى المعسكر فوجدته مهجوراً، فذهبت الى الاركان ولم اجد احداً خلا

(١) تجنباً للاطلاة، اختصر المترجم الى الكردية هذا القسم، واقتطف منه اجزاء قليلة، وقد ترجمنا الى العربية نص ما ترجم الى الكردية.

ضابطين اختلط عليهما الأمر مثلي الى جانب ضابط انضباط، بذل كل جهده بمساعدة منا لجمع جنوده المتشردمين في انحاء المدينة واعادتهم لحماية المعسكر، على اية حال تمكنت من جمع حوالي (٢٥) جندياً واعادتهم الى المعسكر، وفي تلك الايام ظهرت طلائع فوجنا، ووصل أمر الفوج (العقيد لطف الله افشار اوغلي) في مقدمة الفوج. وبعد (٤٨) ساعة جاءنا نبأ وصول الجيش السوفييتي الى مشهد، فذهب أمر الفوج للتفاوض معهم، فاخبروه اننا لم نأت للقتال معكم ولا شأن لنا بكم، فنحن اصدقاء لإيران ولا نريد حرباً مع الجيش الإيراني، بل نريد تطهير إيران من الوجود الالماني.

وكان أمر الفوج الوحيد الباقي هو أمر فوج المدفعية الذي سرعان ما اسلم الفوج للجيش الاحمر عند وصوله. بعدها امره بالذهاب الى الاركان ليلاً، فاذعن للامر وجمعنا وقال لنا: هؤلاء اصدقاؤنا ولن يحاربونا وسيبقى جيشنا في مواقعه دون ان يمسه أحد بسوء.

ووزع الحرس في المعسكر واصطحبنا معه الى الاركان، وبمجرد وصولنا الى هناك حاصرنا عدد من الجنود يحملون اسلحة او توماتيكية واقتادونا الى غرفة في الاركان. بعدها قالوا لنا: انتم ضيوفنا الليلة، وتركونا هناك (٤٨) ساعة، بعدها اخذونا الى فندق (باختر) الذي كان اكبر فنادق مشهد في تلك الايام. كان الفندق محاطاً بالحرس، ثم وجهوا نداءً يدعو كافة ضباط الجيش للاستسلام، وكان الإعلام السوفييتي اعلن ان السوفييت اصدقاء لنا جاؤا لنجدتنا، ولن يمسوا جيشنا وان علينا التعاون معهم، وهكذا استسلم عدد من الضباط.

كان فندق (باختر) يعجم بالناس وكذلك فندق (ميللي) وكان عددنا نحن المحتجزين في الفندقين (١٩٦) ضابطاً من جيش خراسان لبثنا هناك حوالي عشرين يوماً، ثم نقلونا بالسيارات الى عشق آباد.

وعند وصولنا الى عشق آباد كنا نعاني من هبوط في المعنويات، وأخلوا لنا قسماً من سجن عشق آباد اودعونا فيه، كان عددنا حوالي (١٧٠) شخصاً دام سجننا حوالي ثلاثة اشهر ونصف، وفي ١٥ آب نقلونا الى عشق آباد ثم أعادونا الى إيران في ٥ او ٦ كانون الثاني وسلمونا الى محافظ مشهد، وهناك امرنا بارتداء الملابس المدنية، اذ كنا لانزال نرتدي البزات العسكرية،

ثم امرونا بالذهاب الى طهران للتعريف بانفسنا، فمكثنا عند اهلنا (١٠-١٥) يوماً بعدها توجهنا الى طهران.

وعندما كنت اذكر إيران، كان يتمثل لي باستمرار مظهر بئس ومزر، وكنت اذكر مظهر خطيبتي التي جاءت للقائي يوم ذهبنا للاس ولم يسمحوا لها بلقائي، كانت تقف في الجانب الآخر من الشارع المار امام الفندق، وشاهدتها عندما كنت اركب السيارة، كانت تبكي ودموعها الغزيرة تنهمر كالطر، فابتسمت لها كي اخفف عنها شيئاً من لوعتها ولوحت لها بيدي، لكن السيارة تحركت بنا وابتعدنا، ولم انس ذلك المشهد لحظة واحدة. بعد (١٥) يوماً اخذت زوجتي وذهبت الى طهران، ومكثت بها ثلاثة اشهر شبه مشرد، فقد كنت ضابطاً في جيش تحتل بلده ثلاث جيوش اجنبية، اذ كنا نشعر بالضعف والذل عند رؤية الضباط الروس والانكليز والامريكان في شوارع المدينة.

وللاطلاع على اخبار البلاد كنت اقرأ صحيفتي (اطلاعات) و(إقدام). واحياناً كنت اجد فيهما مواضيع جديدة تجذبني اليها. ومن مواضيع تلك الايام، أثارني التي تتحدث عن المناقشات داخل البرلمان.

وفي تلك الاحيان تقرر تشكيل لواء في (تربت جام) «باذن من السوفييت طبعاً». وعينوا لي وظيفة في ذلك اللواء الذي كان لا يزال حبراً على ورق، واعلن عن اسماء أمر وضباط اللواء للالتحاق به عند تشكيله، وبعد بضعة اشهر تشكل لواء (تربت جام) وباشرت العمل في اللواء في شهر حزيران ١٩٤٢، وكان رئيس اركان اللواء في تلك الايام عقيد اسمه (يكرنگيان) وكان مقر اللواء في مشهد، وفي أول وصولي الى مشهد عرقت العقيد (يكرنگيان) بنفسه ولكون لواء (جام) تابعاً له ولم يكن قد باشر اعماله طلبت العمل في الاركان، وبعد تشكيل اللواء عملت فيه ثمانية او تسعة اشهر، ثم نقلت الى مشهد من جديد.

كان مع اللواء الذي نقل الى مشهد بطرية مدفعية نقلت الى الفرقة الشرقية الثامنة، وأسندت الي قيادتها. كان هذا في ربيع ١٩٤٣، وفي نهاية ربيع ١٩٤٤، افتتح في مشهد مركز (وكس) الثقافي الإيراني السوفييتي، أعلن ذلك علينا ذات يوم قائد الفرقة في نادي الضباط، وقال انه يسمح لمن يريد

تعلم الروسية الذهاب الى ذلك المركز، ففرحت بذلك وطلبت المشاركة.

في عام ١٩٤٥ قرر رئيس الاركان (رزم آرا) تغيير مواقع بعض الضباط، بهدف ابقائهم باستمرار في طهران واجبار الآخرين على البقاء في المدن الاخرى وعلى الحدود، وقام بالعملية عن طريق القرعة.

كان الرائد (علي اكبر أسكنداني) احد الذين نقلوا الى مشهد وكان أمر فصيلنا في قسم المدفعية في الكلية العسكرية. إلتقيته صدفة في احد شوارعها بعد مجيئه الى مشهد بيوم واحد، كان ذلك في تشرين اول ١٩٤٤، وعلمت منه انه نزيل فندق (باختر) ولاني كنت ساكناً في مشهد دعوته ان يحل مؤقتاً في بيتنا الى ان يجد لنفسه سكناً مناسباً، فوافق على مقترحي واصطحبته معي ليلتها الى بيتنا.

كنا نتناول العشاء معاً كل ليلة، وبعد العشاء كنا نتناول مواضيع عدة فلمست في كلامه اختلافاً عن كلام بقية الضباط، ثم أدركت أن مواضيعه جديدة لم أسمع بها من قبل، فدفعني فضولي الى الاستزادة من تلك المواضيع، فحدثني ليالي عديدة عن المادية الجدلية والمادية التاريخية والاسس الاجتماعية وتطور المجتمع باختصار، بعدها بدأت اطالع الاسس الاجتماعية، وذات ليلة سألني عن السوفييت فأجبت:

- اتنى ان اسمع الليلة خبر اندحارهم، فنخرج غداً الى الشوارع ونطردهم من البلد.

فقال: ان ما تقوله يتعلق بالماضي، لان الجيش القيصري ارتكب ما لم ينسه شعبنا حتى اليوم، اما الجيش الاحمر فانه يختلف اختلافاً تاماً عن الجيش القيصري.

واستمر نقاشنا هذا حتى انتصاف الليل، حتى وصل درجة ان لم اقل عنها انه انهى سخطي على الجيش السوفييتي، فانه غير الكثير منه، وبعد ذلك ونتيجة لانغماسي في القراءة بدأت احب السوفييت والجيش الاحمر، وبعد بضعة ليالي اخبرني انه عضو في حزب (توده) فلم يثر ذلك استغرابي، ثم قال لي: «هل تريد الانضمام الى حزب توده» فوافقت دون تلكؤ وقلت:

- ماكان ينبغي ان تسألني، بل كان عليك ان تخمن بنفسك، فحيثما تكون انت اكون انا.



فتحدث لي عن شروط العضوية في حزب (توده): وبعد ذلك رشحني هو (پروين گونابادي) للحزب ووقعت على قسيمة الانتماء لحزب (توده). كنت اعرف (پروين گونابادي) مسبقاً فقد كان يدرسن مادة الأدب في ثانوية (الشاه رضا) بمشهد، وكان حينها يصدر صحيفة (راستي) لسان حال اللجنة الاقليمية لحزب (توده) الإيراني في خراسان، فأخبرني (أسكنداني) ان (گونابادي) عضو في اللجنة المركزية للحزب.

وكنت قد سمعت ان عدداً من الضباط في الكلية العسكرية كانوا قد شكلوا تنظيماً آخر لا اذكر اسمه بالضبط، ربما كان (منظمة القوميين الإيرانيين)، وكانوا يقولون ان (آريانا) برأس المنظمة، الذي كان اسمه حينها (منوچهری) وكانوا يقولون ان (آريانا) فاشي يؤيد الالمان، ولكني لم اكن اعتبره فاشياً لان تصرفاته وكلامه كانت تجتذب الشباب القومي والوطني، وكان يشاع ان (روزبي) و(داناش) و(مرتضوي) و(قاضي اسدالله) من ضباط الكلية العسكرية كانوا قد اجتمعوا حوله، ثم انضموا جميعاً الى حزب (توده).

كان أسكنداني قد انضم الى حزب توده عام ١٩٤٣ عن طريق العقيد آذر<sup>(٢)</sup> الذي كان قد تخرج في فرنسا ويدرس مادة المساحة في الكلية العسكرية، ويمكن القول ان آذر هو الذي ادخل الفكرة الماركسية في صفوف الجيش، وكان هو الذي نظم الضباط روزبي وقاضي اسدالله ومرتضوي ورصدي اعتماد وحاطمي. وفي تموز ١٩٤٤ نقل أسكنداني الى مشهد، وحتى تنظيمه لانتفاضة ضباط خرلسان في آب ١٩٤٥ كسب (٢١) ضابطاً الى صفوف حزب توده، وعندما بلغ عددا (١٤) اقترح أسكنداني إجراء انتخاب لاضفاء صفة ديمقراطية على تنظيمنا وليحظى بدعم الحزب أيضاً. وفي اليوم المحدد لاجراء الانتخابات، شارك (باقر علي) سكرتير اللجنة المحلية للحزب في مشهد، في اجتماعنا الذي انتخب فيه أسكنداني مسؤولاً للمنظمة وانتخبنا في الاجتماع نفسه ثلاثة اشخاص يشكلون الهيئة التنفيذية للمنظمة. كان النخبة من الضباط في تلك الايام يعدون عى الاصابع من امثال:

(٢) بعد احداث ازربيجان ذهب العقيد آذر الى الإتحاد السوفيتي، وبقي هناك حتى ١٩٧٦ حيث عاد الى ايران وبعد عام ونصف عام توفي في شهر ايلول ١٩٧٨ عن عمر يناهز ٧٣ عاماً. المؤلف.

روزبي وقاضي اسدالله ومرتضوي، ورصد اعتماد وآگاهي وكانوا جميعاً ينتمون الى حزب توده. وكانوا هم انفسهم الذين قرروا ان ينتفضوا في طهران في شهر آب ١٩٤٥، وكان أسكنداني متأثراً ب(تيتو) عندما نصحت لديه فكرة الانتفاضة، فكان يقول:

- القائد هو من يلجأ الى الجبال للكفاح مثل تيتو، ويجمع حوله رفاقه، ويحقق النصر بقوة السلاح، وليس القائد مثل الذين يجلسون الى الموائد في شارع (فردوسي)<sup>(٣)</sup>.

كان أسكنداني منظراً ومفكراً جيداً ولو بقي هنا لأضحى من الرجال الفاعلين في الحركة. وكان عند الإعداد للانتفاضة يفكر في جمع الأموال والتجهيزات اللازمة لحرب العصابات.

كان قائد الاركاب الثالث واحداً مناً وتوصية من (أسكنداني) عين الملازم الاول (نجدي) مسؤولاً عن المالية، وكان نجدي من رفاقنا ايضاً، جرى الاتفاق معه ليمر بعد استلامه الميزانية في زقاق غير مأهول، ولما مر من هناك هجم عليه احد رفاقنا وهو يمتطي دراجة هوائية، فضربه بضع ضربات واخذ منه ما كان معه من اموال لصرفها على تنظيمنا، وهكذا حصل تنظيمنا على ثلاثين الف تومان كانت رواتب الضباط دون ان تدور اي شبهة حول التنظيم، ومن مصادر تمويل تنظيمنا الاخرى: ارتفعت اسعار اطارات السيارات ايام الحرب كثيراً، فارسلت شحنة من الاطارات من طهران الى مشهد لتزويد فرقة مشهد بها، ولكن قبل وصول الاطارات الى مشهد تم بيعها واستوفينا نحن الثمن، حيث كان أسكنداني مسؤولاً عن الآليات في مشهد وكان من المفروض ان يتسلم الاطارات بنفسه، فرتب وصولات الاستلام في الفرقة والمخزن. كان أسكنداني يوصينا باستحصال الاموال بكل الطرق، لانها ستفنعنا ذات يوم، وكان يوصينا بتقاضي راتب شهر مقدماً كسلفة.

وبينما كان (أسكنداني) يعد للانتفاضة، كانت مجموعة من الضباط في طهران بقيادة العقيد آذر تفكر في اقامة ثكنة لحرب العصابات في بقعة من إيران، وكانوا قد اعدوا خططهم التي لم تدخل حيز التنفيذ، وإقناع الحزب

(٣) كان مقر حزب (توده) آنذاك في شارع (فردوسي) بطهران. (المؤلف).

كانوا يقولون انه تم الكشف عن بعضهم ومن الافضل نقلهم الى مكان هاديء قبل ان يعتقلهم الجيش، فصدقهم الحزب وقرر نقلهم الى الشمال للاختفاء في المناطق الصناعية وأداء واجباتهم الحزبية هناك، وهكذا في أيلول ١٩٤٥ تم استنجاز حافلة من كراج في شارع (ناصر خسرو) لتقلهم ليلاً من منزل أذر. ولسبب ما عادت الحافلة الى الكراج بعد ان حملت الضباط، الذين شاهدوا صاحب الكراج يقوم بمكالمة هاتفية بعد ان تحدث اليه سائق الحافلة، فظنوا ان صاحب الكراج يتحدث الى القائد العسكري، فترجلوا جميعاً من الحافلة ولاذوا بالفرار، وفي اليوم التالي عاد بعضهم الى المعسكر وكأن شيئاً لم يكن، اما الباقون الذين تملكهم الخوف فغادروا طهران سراً.

كان أسكنداني قد اقنعنا جميعاً ان هذه الانتفاضة ضرورية وهامة، ووافقنا خلا اثنين منا كانا يعارضانها بضعف، وهما الملازم الاول (صراف زاده) والملازم الاول (شهيد نورائي) ولا اعلم اين هما الآن.

قبل الانتفاضة، ارسل أسكنداني النقيب (بهرام دانش) احد اعضاء اللجنة التنفيذية الى طهران للاتصال بالحزب او بأذر، ولان أذر كان يستحسن فكرة الانتفاضة طلب الحصول على خطة الانتفاضة ليقوم بإقناع اللجنة المركزية لحزب توده بالموافقة عليها، ويقال ان (كامبخش وإبرج أسكندري، وأردشير آوانسيان) اطلعوا على الخطة فاستحسنها بعضهم وعارضها البعض الآخر ولكن استحسنان او معارضة هؤلاء ليس له طابع رسمي، اما تنظيم الضباط، وخاصة البطل روزبي، فانه استحسن الانتفاضة، ولما هم (دانش) بالعودة الى مشهد، كان قد قال اننا سننفذ الخط سواء وافقت اللجنة المركزية ام رفضت.

وكانت المواد اللازمة للانتفاضة، من ملابس وتجهيزات عسكرية، مخزونة في منزل العقيد (ابو القاسم عظيمي) الذي اعدم فيما بعد في أذربيجان. وفي الليلة التي قررنا التحرك فيها اسندت الى كل منا مهامه، فكانت مهمتي جلب عشرين بندقية وعشر رشاشات وكمية كافية من الذخيرة الموجودة عندي حيث كنت حينها قائد البطرية المستقلة في فرقة خراسان الثامنة، وكانت مهمة أسكنداني توفير، شاحنتين وسيارة جيب لنا وتعطيل كافة مركبات الفرقة وآلياتها لمنعهم من تتبعنا.

في ليلة ١٦ أيلول ١٩٤٥ انطلقنا باتجاه (قوجان) وكنا (١٩) ضباطاً وستة

جنود، وقمنا بقطع كافة اسلاك التلغراف وخطوط الهاتف الموجودة على الطريق. كان تجريد مقر (مراوتپه) من السلاح أهم حدث في طريقنا، ومراوتپه قسبة قريبة من الحدود السوفياتية كانت فيها سرية. أوصانا أسكنداني باطلاق النار على كل من يحاول اعاقتنا او اعتراض سبيلنا، ولكن لم يقع اي حادث من هذا القبيل حتى اننا اجتزنا (بجنورد) بكل سهولة، وفي الليلة التالية وصلنا الى مراوتپه فاتخذنا استعداداتنا خارجها وفي الصباح جردنا معسكر مراوتپه من السلاح بكل سهولة، اذ ان رئيس الركن الثالث من أركان الفرقة الرائد (پيرزاده) كان متعاوناً معنا، وكان يعلم ان لجنة ستأتي من طهران لتفتيش المعسكرات وكان قد اعلم معسكر مراوتپه بذلك، وأن لجنة من الفرقة ستأتي ايضاً للتفتيش قبل وصول لجنة طهران، وكانت الاوراق الموجودة عند أسكنداني تفيد ان الرائد پيرزاده هو الذي سيرأس لجنة التفتيش التابعة للفرقة، فاستقل الرائد پيرزاده والنقيب (نديم) والملازم الاول (قمسريان) وعدد آخر من الاشخاص سيارة جيب على انهم لجنة التفتيش التابعة للفرقة، ورافقهم الملازم الاول (نجفي) مسؤول الانضباط مع خمسة من الجنود الذي كانوا معنا لحمايتهم، وهكذا دخلت (لجنة التفتيش التابعة للفرقة) المعسكر مراوتپه، ومع وصولهم الى المعسكر بدأ الرائد پيرزاده ينتقد أمر المعسكر الملازم الاول (فخران) وأمره مع أمر السرية بالذهاب الى مقر الفوج، فاستقل هذان سيارة جيب باتجاه (بجنورد) حيث كنا بانتظارهم على الطريق فقمنا بأسرهم.

كانت الهيئة الاولى قد أبلغت المعسكر بان اللجنة القادمة من طهران في طريقها اليهم، وانها ستصل قريباً. فتوجه الرائد أسكنداني مع عدد من الأشخاص الى مراوتپه. فيشكو إليهم جنود المعسكر أن مدة خدمتهم قد انتهت ولم يتم تسريحهم بعد.

فأبدى رئيس اللجنة المزعومة، أسكنداني تدمره لذلك وأمرهم بالتوجه فوراً الى بجنورد وهكذا لم يبق في معسكر مراوتپه غير ضابط واحد ارسله الينا فأسرنه، ووفقاً لخطتنا توجهنا مع الاسرى الى مراوتپه وتوقفنا في مكان كنا قد حددناه مسبقاً، بينما حمل رفاقنا في مراوتپه كل الاسلحة الموجودة في شاحنة توجهوا بها نحونا، وهكذا استغنينا من ناحية الاسلحة، فاصبحنا نمتلك

رشاشتي برين خفيفتين و(١٣٠) قطعة سلاح وثلاثين الف إطلاقاً الى جانب ما كنا قد جلبناه معنا من مشهد.

اصبح تحديد مصير الضباط الثلاثة الذين اسرناهم مشكلة صعبة علينا، فلم نكن نعرف ماذا نفعل بهم، فاقترح (حسين فاضلي) وكان أحد رفاقنا ان نقتلهم رمياً بالرصاص بدعوى اننا مجموعة ثائرة يجب ان نتصرف بروح ثورية، ولكننا جميعاً رفضنا مقترحه ذلك، وكان أسكنداني يقول ليس العمل الاكثر ثورية اكثر الاعمال عنفاً بل أكثرها حكمة، واخيراً قررنا اطلاقهم في مكان ناء كي لا يتمكنوا من تشكيل جماعات معادية لنا في المنطقة التي كانوا يعرفونها.

في ١٨ أيلول وصلنا الى (گونبَت كاس) وهناك اوقفنا السوفييت فتمكن أسكنداني بفضل قاموس فرنسي - روسي كان يحوزته من التفاهم معهم واقناعهم بالسماح لنا بالتوجه الى (گورگان)، وكان هدفه من التوجه الى گورگان. اللقاء بـ(احمد قاسمي) مسؤول اللجنة الإقليمية لحزب توده هناك. اذ كان يبدو ان كامبخش الذي اطلع على الخطة في طهران ابلغ (دانش) ان اذهبوا الى گورگان وسامر (قاسمي) بتقديم المساعدات اللازمة لكم، وعند الليل توقفنا في غابة كثيفة بعيدة عن الشارع وتبعد عن گورگان مسافة كيلومترين، وفي الصباح ذهب (أسكنداني) الى گورگان ثم عاد غاضباً، وبدا ان قاسمي قد قال له:

- لقد اتيتم فعلتكم هذه دون اذن منا، فلسنا في وضع يسمح لنا بالقيام بانتفاضة مسلحة، لان مثل هذا الفعل يمنح العدو حجة ضرب تنظيمات الحزب، لذا لن نتعاون معكم باي شكل.

يبدو ان (أسكنداني) اتصل بالسوفييت ايضاً، الذين اجابوه بفتور ونصحوه بالذهاب الى نقطة حرة بين مراوتيه وگونبَت والانتظار هناك، وفي گورگان انضم اليها ستة ضباط آخرين، كانوا من بقية الضباط الذين دبروا عملية الهروب الجماعي الفاشلة في طهران وكان هؤلاء مهديين وجاؤوا الى الشمال خلسة وهم العقيد آذر، والنقيب رصد اعتماد، والملازم الاول عبدالحسين آگاهي، ومحمود پور هرمزان، وپزيشكيان، ووطن پور وقد ذهب الأخير الى الاتحاد السوفييتي ثم فر من هناك عائداً الى إيران واستسلم الى السلطات

الحكومية، وهكذا اصبح مجموعنا (٢٥) ضابطاً وستة جنود.

قررنا العودة الى النقطة المحددة لنا، واعاقنا السوفييت في (گونبَت) ثانيةً للتشاور مع مسؤولهم، فانتهزنا الفرصة للاستراحة وشراء بعض المؤن، وقررنا التحرك ليلاً رعاية للظروف الجوية والهدوء، وقرر أسكنداني ان يلتقي بالسيد (بَهَلَكَه) في گونبَت وكان الاخير مسؤول الحزب هناك، وذلك لاتخاذ القرارات والخطط المستقبلية سوياً. وكان في گونبَت عدد من الجندرية، فجاءنا الضباط الذين ذهبوا لشراء المؤن بخبر مفاده ان الجندرية يستعدون لمواجهتنا، ولكن الغرور كان قد اصاب أسكنداني لدرجة استبعد ان يجرؤ الجندرية والحرس على ضربنا، وكان الجندرية قد اتصلوا بطهران، واصر رئيس الأركان، اللواء الركن (أرفع) امراً يقضي بان يقوم الجندرية بالتصدي لنا ومنعنا من مواصلة مسيرتنا، الى جانب تخصيص مكافأة عدة آلاف تومان لكل من يقتل واحداً منا، وكان الملازم الاول (حسيني) مسؤول الجندرية في گونبَت قد جمع كل الجندرية والحراس في المنطقة لاعتراض سبيلنا، ومن جانب آخر اتصل الرائد (فيرازي) بأسكنداني داعياً اياه لحل القضية سلمياً، وكان السيد بَهَلَكَه مسؤول الحزب في گونبَت هو الوسيط في المباحثات.

وهنا اجد نفسي مضطراً للتذكير بموضوع آخر: يلاحظ ان كافة القرارات والاعمال تنفذ من قبل أسكنداني ولكن بمجيء الضباط الستة من طهران وبينهم العقيد آذر الذي كان مسؤول تنظيمات الجيش كان ينبغي أن يتولى الأخير القيادة، وقد حل أسكنداني هذه المشكلة بلباقة، فعندما كنا في گونبَت للاستراحة وشراء المؤن وانتظار سماح السوفييت لنا بالمرور، جمع أسكنداني كل الرفاق، وقال لنا:

- هنا ينتهي دوري، فيمجيء الرفيق آذر اصبح من واجبنا جميعاً أن نسمع له ونطيع، ولكن من الافضل ان نجري انتخاباً.

كان جواب آذر ان يواصل أسكنداني قيادة الانتفاضة، فهو الذي بدأ العملية ويفهمه الضباط بدرجة اكبر. وعلى اية حال فبعد التعارف فيما بيننا اجريت انتخابات انتخب فيها أسكنداني قائداً للانتفاضة بالاجماع، وفي الحقيقة كان هذا عرضاً للعضلات من قبل أسكنداني أمام آذر. اخيراً وفي الساعة الخامسة عصراً من ٢٠ أيلول ١٩٤٥ غادرنا المزرعة (التي كنا قد

حللنا فيها) بكل تجهزاتنا وآلياتنا، وبسبب الانباء المتضادة حول استعدادات الجندرمة والشرطة، تقدمنا أسكنداني في سيارة جيب. وانقسمنا في الطريق الى خمس مجاميع لكل مجموعة قائدها، وكان أسكنداني نفسه قائداً لاحدى المجاميع، الى جانب قيادته الانتفاضة، وكانت المجاميع تتناوب مواقعها في القافلة، ولكن أسكنداني كان يتقدمنا غالباً ليعتصم فينا روح الجرأة والاقدام.

عند انطلاقنا كان الجندرمة والشرطة الذين علمنا فيما بعد ان عددهم كان (١٢٠) قد تخندقوا في مبنى البلدية المشرف على الشارع وكانوا مزودين بالبندقيات ورشاشتي برين خفيفتين، وبمجرد وصول سيارة الجيب التي كان يستقلها أسكنداني الى مقربة من مبنى البلدية، امطرت السيارة بالنيران وكنت انا في السيارة التالية فشاهدت سيارة الجيب قد دمرت وضاعت في الدخان، استغرقت العملية لحظات واستشهد طاقم الجيب جميعاً دون ان ابداء مقاومة، وكان عددهم سبعة: الرائد أسكنداني والملازم الاول (نجدي) والملازم الاول (شبابازي) والملازم الاول (نجفي) والملازم الثاني (مينائي) والجنديان المكلفان (موسى ريفي) و(بهلول). بعدها وردتنا الاخبار بان جثثهم مزقت وبقيت ملقاة في الشارع حتى الصباح، وكانت في سيارة الجيب قطع من الجلد لاستخدامها عند البرد، وعندما كانت الريح تحركها، كان الجندرمة يطلقون النار على الجيب من جديد خوفاً من تلك الحركة. وبهذا تفتت الجثث حتى الصباح.

اوقفنا سياراتنا وتوزعنا على جانبي الشارع قرب المباني الاخرى، وجرح سائق سيارتنا الملازم الاول (احساني) على الفور، اثناء ترجله منها، واستطاع احدنا ان يصل الى رشاشة برين وينزل بها من احدى السيارات ويطلق النار من تحت السيارة، وهكذا لم تلحق بنا اضرار اخرى وتمكننا من اصابة اربعة من الجندرمة كانوا يطلقون النار علينا من نوافذ مبنى البلدية، واستمرت المناوشات فترة، وتولى العقيد أذر فما لبثت ان رأته واقفاً وسط الشارع يشير الينا ان هلموا، فاستطعنا انا وعدد من الرفاق ان نعبر الشارع تحت غطاء نار رفاقنا، واتبعنا أذر وبقي اثنان من المجرحي على جانب الشارع وكان عدد آخر قد تخندقوا في الطابق الثاني لإحدى المباني يطلقون النار على مركز الشرطة، وبقوا هناك حتى منتصف الليل، وتحت غطاء الظلام تمكنوا من

الوصول الى احدى السيارات وجلب بعض المال والمواد الضرورية، بعد ذلك تعرضت كل مجموعة لمصير مختلف، والتحق بعضهم بنا من جديد، وحملوا الجريحين وكان احدهما اخي والآخر (بهرام دانش) الى معسكر السوفييت، ولكن السوفييت رفضوا ايواهم، فاضطروا لإخفاء المجرحي في مكان خارج المدينة، وفي الصباح التالي تمكن الجندرمة من اسر الجريحين وارسلوهما الى طهران، وتم اعتقال ثلاثة ضباط النقيب بهرام دانش والملازم الاول حسين فاضلي والملازم الثاني علي سونائي، واربعة جنود هم مسعود تفرشيان، وعلي اكبر فزوهش، وعلي وسوق، وشاهين في مناطق مختلفة وصولاً الى (شاهرود) اضافة الى الجريحين وتم نقلهم جميعاً الى سجن الانضباط في طهران. وهكذا امتزجت الانتفاضة الجريئة التي قامت في خراسان بدماء شهدائها في غونب بعد خمسة ايام من قيامها.

عندما اتبعنا أذر في الخروج من ساحة القتال، كنا نفكر جميعاً في ايجاد فرصة مناسبة للهجوم على مركز الشرطة والرد على تلك الهزيمة المفاجئة رداً مناسباً، ولكن كلما ابتعدنا عن ساحة القتال كانت مضاعفات الهزيمة تزداد وضوحاً فقد صعقتنا الضربة التي لحقت بنا في غونب فاخترتاً وراء تلة تبعد عن المدينة كيلومترين، حيث قال لنا أذر: ماذا سنفعل هنا، لنتحرك فقد قتل من قتل، والمجرحي سيقعون في الأسر، ان مهمتنا الاساسية الآن هي النجاة بأنفسنا وبلوغ مكان نستطيع فيه الدفاع عن انفسنا عند وقوع اية مواجهة.

وقادنا باتجاه منطقة احراش، وهناك قال الرائد (شفائي) مسؤول مالية الانتفاضة وكان معه مبلغ من المال (حوالي ستة آلاف تومان): لورود احتمال تفرقتنا افضل تقسيم المبلغ الذي احملة بيننا ليكون مع كل منا شيء من المال، وقسم المبلغ فنال كل منا ستمائة تومان، وواصلنا السير بنفسيات متعبية ومعنويات مدمرة، إلا أذر فلم يفقد روحه المعنوية.

على اية حال وصلنا الى (شاپسند) وبها مركز للجندرمة، وقبل وصولنا اقترح أذر ان نهجم المركز اذا كان عدد الجندرمة قليلاً، ولان المقترح لم يكن قد دخل حيز التنفيذ لم يعارضه اي منا، فذهب أذر بنفسه واستطلع الموقف، وعاد ليخبرنا ان في المركز اثنين من الجندرمة احدهما نائم والآخر يتولى الحراسة، خارج المبنى، واعاد علينا مقترحه ولكننا جميعاً عارضنا المقترح

وابتعدنا عن المركز، وفي منتصف الليل توقفنا في ضواحي (شاپسند) وتناوبنا النوم حتى الخامسة صباحاً.

كان آذر مخططاً جيداً وخبيراً في الخيل، وكان قد جاء الى (تركمان سارا) مرات لشراء الخيل، لذا كان يعرف المنطقة، فتسلق شجرة وحدد لنا طريق الحركة، عندها قال الملازم الاول (پور هرمزان): اين انتم ذاهبون؟ وما الذي نستطيع ان نفعله بهذه البندقيات الاثنتي عشرة؟ ان بقاءنا معاً يزيد من الخطر المحققين، كما ان هذه الاسلحة ستقتلنا، اني ذاهب. قال هذا والقى بندقيته ونزع ملابسه العسكرية وقطع عنق حذائه العسكري وقال: اني ذاهب للالتحاق بالحزب، وداعاً.

ثم تركنا ومضى، لكن اقواله وفعلته هذه خلفت عندنا آثاراً سيئة. فقد كنا نخشى الوحدة، ثم اتبعنا آذر الى غابة حيث شعرنا ببعض الإطمئنان. بقينا في الغابة القريبة من شاپسند حوالي عشرة أيام. وهناك عثرنا على شيخ تولى جلب الطعام لنا وكان آذر يكلفنا أحياناً ببعض المهام كارسال أحدنا الى غونيت لتقصي اخبار قتلتنا واوضاع المنطقة، وخلال تلك الفترة ذهب آذر مرة الى القاعدة السوفييتية للحصول على المساعدة، الا ان السوفييت ردوا عليه باننا لانعرفكم ويجب ان نستشير مركزنا بشأنكم. وذات مرة اردنا الذهاب الى گورگان عن طريق الاحراش ولكن بعد جهد يوم كامل كانت النتيجة اننا ضللنا الطريق. وطلب آذر من الشيخ (الذي لم نعرف اسمه) ان يجلب لنا ملابس تركمانية نتنكر فيها لنخرج من تلك الاحراش، وذات ليلة خبأ آذر البندقيات التي كانت معنا في مكان كان قد حدده من قبل، وكان الشيخ مع صديق له أعدا لنا الملابس التركمانية فارتديناها وارشدنا الشيخ الى الطريق الرئيس وودعنا، اعتقد ان الشيخ متوفى الآن فليرحمه الله.

ان منطقة تركمان سارا سهل منبسط يصعب ايجاد طريق فيها، حيث اننا مشينا نصف يوم فيها لنعود الى نقطة انطلاقنا، عندها امسك النقيب (پزيشكيان) بتلابيب آذر وقال له غاضباً: ما الذي تفعلون وماذا تريدون من التجوال في هذه الصحراء. كان المسكين يتصور انه لا يزال ضباطاً وكان يقول: اي خطأ ارتكبت ايها القائد الموقر: فقد ظهر ان كل ما قلتم كان كذباً، ولكن آذر كان دائماً محافظاً على اترانه وهدوئه - واخيراً نفذ صبر الرائد (شفائي)

فصاح قائلاً: كفى، ما ذنب ماركس وانجلز، اذا لم نفهم نظرياتهم وتوجيهاتهم، ونفذناها باسلوب خاطيء.

وباقتراب وقت الظهر، حاصرنا اربعة اشخاص قالوا بضع كلمات بالتركمانية واتهمونا بالسرقة وقطع الطريق، اذا ان الاخبار تنتشر في (تركمان سارا) بسرعة بسبب وجود التلغراف، وكانوا يعلمون بوجود مجموعة من الغرباء تجوب المنطقة، ولكن آذر كان يعرف التركمانية فقال لهم الحقيقة وهددهم بانهم لو مسونا بسوء فالويل لهم من السوفييت، وكان آذر يعرف ما يبغون فقال سنزودكم بمسدسين لقاء ابصالنا الى گورگان، على اية حال قاموا باخفائنا وجلب الطعام لنا، وذهبوا على ان يعودوا في المساء لنقلنا الى مكان آمن، فتسلق آذر شجرة ليحرسنا ونال كل منا قسطاً من النوم، وفي المساء عاد التركمان الاربعة مع خيول واخذونا ليلاً الى قرية، واخذوا المسدسين اللذين وعدناهم بها وتركونا، وبعد تناول العشاء طلب منا اهل القرية خمسين تومناً لكل منا لقاء نقلنا الى گورگان، ولكن بعد استيفاء المبلغ نقلونا الى قرية اخرى، عشر آذر على صديق له، فاسلمنا اليه وتركنا وكان عددنا ستة ضباط، وفي هذه الأثناء وجدنا شاباً وافق على اخذنا الى الشارع المؤدي الى گورگان لقاء مائتي تومان، وبعد منتصف الليلة التالية بلغنا الشارع، وهناك ثارت ثائرة (پيرزاده) وبدأ يشتم آذر وأسكنداني وانضم اليه الرئد (شفائي) اذ كانا قد اتفقا سراً، على الذهاب الى (سوزوار) حيث كان (شفائي) رئيس تجنيدها سابقاً وله معارف هناك، وكانا قد قررا الاختباء هناك والالتحاق بالحزب من جديد، ففعلاً ذلك وانضمنا اليها فيما بعد، فقال پزيشكيان: انا ايضاً سأذهب.

وقال الملازم الثاني (رئيس دانا): اذا افترقنا وكنا آحاداً ستقل احتمالات وقوعنا في قبضتهم. وودعنا واتخذ وجهة له، وهكذا لم يبق غيري انا والملازم الاول (كبهان) فقررنا الركوب الى گورگان ولرثاثة هيئتنا لم يكلف اي سائق نفسه مشقة الوقوف لنقلنا، فاضطررنا الى السير، وفي الغابة كان السوفييت ينقلون الخشب بعربات تجرها الخيل، ويفضل ما كنت قد تعلمته من اللغة الروسية اتفقت مع احدهم على ان يقلنا لقاء عشرين ريالاً لكل منا. وهكذا وصلنا الى گورگان في الخامسة عصراً، كان ذلك في شهر رمضان، ولم نستطع

العشور على مقر حزب توده يومها. فقررنا الذهاب الى احد المساجد، وقبل الافطار بساعة ذهبنا الى واحد من المقاهي لتناول شيء من الطعام.

وكنا قد اتفقنا مسبقاً ان نقول باننا راعيين جئنا الى المنطقة بحثاً عن عمل، وكنت اتحدث اللهجة النيسابورية ولعبنا الادوار بصورة جيدة، ففي المقهى مثلاً وبدلاً من الجلوس على الكرسي جلسنا على الارض نتناول الخبز والجبن والشاي، وفي تلك الاثناء جاء اثنان من الجندرية الى المقهى للافطار، وبمجرد رؤيتهما اصابنا الهلع، ولم يعد بإمكاننا التفكير بانهم جاؤوا صدفة الى المقهى، ومع ذلك سيطرنا على انفسنا ولما سألنا صاحب المقهى عن شأننا اخبرنا اننا رعاة بقر جئنا نبحث عن عمل فانبرى احد الجندرية قائلاً: يا لسذاجتكما، ان انباء هذه المنطقة انفسهم يعانون من البطالة، ويقضون النهار في تدخين الحشيش.

الا أننا كنا نتصور ان الجندرية يحاولان اشغالنا بهذه الاحاديث لاعتقالنا في اقرب فرصة فغادرنا المقهى بحثاً عن حل. تذكر (كيهان) ان احدى قريباته تسكن غورگان واسم زوجها هو (عرب) يعمل في دكان له، فعشرنا على الدكان، وبعد التحية والسلام جلب لنا ثياباً جديدة واصطحبنا الى داره في الليل، وفي الحقيقة لم يلح علينا للمبيت عنده، لكن زوجته عندما رأت قريبها (مهدي) سرت بذلك كثيراً، وفي الصباح اعتذر الينا مضيفنا فجلاً ولكنه كان محقاً، فمن الخطر ايواء هارين في منزلك، كانت الدار نظيفة وأهلها طيبين. وبعد سنين عدة ذهبت الى غورگان لزيارة قريب لي، وحاولت البحث عما يحيي ذكرياتي في تلك الشوارع والمقهى والمسجد، ولكن لم أعرف عنوانهم ولم أعر على احد منهم، فان كانوا احياء فليذكروهم الله بخير، وان ماتوا فليرحمهم الله.

وفي اليوم التالي تنكرنا وكأنا طالبا حقوق نريد قضاء العطلة الصيفية على البحر، واستأجرنا سيارة الى (بندر شاه). وهناك عشرنا بسهولة على المهندس (داخته) الذي كان المسؤول الحزبي في المدينة، والذي اسلمنا الى عامل كان يسكن هو وامه في غرفة من خشب، وبعد بضعة ايام اقلنا السوفييت في سيارة لتأخذنا الى مكان آمن في (تركمان سارا).

بعد انتفاضة ضباط خراسان، تمت مضايقة عدد من الضباط في طهران فيما

أصر ضباط آخرون على الانضمام الينا، فاضطر الحزب الى جمع الضباط المهتدين بالخطر في مكن آمن معنا، ولهذا الغرض اختار الحزب قرية (صوفيان) بين (گونبت) و(مراوتپه) لانها كانت قرية منعزلة لاتردها اية اخبار لا عن الجيش الإيراني ولا عن السوفييت، فجمع الحزب ضباط خراسان المتفرقين وضباطاً آخرين هناك.

كانت السيارة التي اقلتنا الى هناك من نوع (زيسي) وكنا نائمين على حمولتها التي كانت عبارة عن اعلاف جافة، كان سائق السيارة جندياً من الجيش الاحمر ومعه رجل تركماني يرشدنا الى الطريق، وقبل وصولنا الى قرية (صوفيان) اخذونا الى القاعدة السوفييتية في (گونبت)، وهناك عاتبنا ضابط سوفييتي برتبة رائد على شروعا في هذا العمل الساذج، واعطونا بدلتين سوفييتيتين ثم نقلونا الى قاعدتهم، ولما وصلنا وجدنا اننا لسنا الوحيدين، فقد كان هناك حوالي (١٠-١٥) آخرين وصلوا قبلنا، وشيئاً فشيئاً بلغ عددها (٤٠) شخصاً، وكان (آذر) من الذين سبقونا الى هناك، وذات ليلة ألقينا الملابس السوفييتية، وارتدينا ملابسنا وارسلنا الى قرية (صوفيان) ولما وصلنا الى القرية، قال لنا السوفييت: لقد نقلناكم الى هنا، ولا شأن لنا بكم بعد الآن فعندكم اسلحتكم وتستطيعون حماية انفسكم.

كان (آذر) قد جلب معه الاسلحة التي اخفيها في الاحراش، اضافة الى ان كل واحد منا كان يحمل مسدسه الشخصي، فعقدنا اجتماعاً وشكلنا لجنة باسم (لجنة الجيش الشعبي) كان آذر رئيساً لها وأعضاء اللجنة مجموعة من الضباط، انا منهم.

واقمنا قاعدة متواضعة لنا في صوفيان ولم يكن لنا من عمل غير الدفاع عن انفسنا، وكان هذا ما ابلغنا به من قبل (احمد قاسمي) مسؤول تنظيمات الحزب في غورگان والذي جاءنا في اليوم التالي الى صوفيان وقال عليكم بانتظار توجيهات الحزب، وسمح لنا بتجريد مقر حكومي قريب من صوفيان من السلاح حفاظاً على الامن في المنطقة، دون مواجهة عسكرية او اوراقه دماء، كان مسؤول ذلك المقر نائب ضباطاً اسمه (كياني) خدم سابقاً في قسم المدفعية تحت امره رفيقي النقيب (رزم أور)، وبعد محادثات اجراها معه النقيب (رزم أور) قام بتفريق الجندرية وانضم هو الينا. وهكذا اتخذنا من

(صوفيان) مقرأً لنا منذ اوسط آب ١٩٤٥، في تلك الايام تشكلت «فرقة أذربيجان الديمقراطية» وبلغنا خبر تشكيلها في ٢٥ تموز ١٩٤٥ عن طريق بلاغ أصدرته الهيئة المؤسسة وضمنته افكارها، جاءنا به (احمد قاسمي).

بقينا هناك حوالي (٢٥) يوماً، الى ان جاءنا ذات ليلة خبر يقول بتجمعنا واستعدادنا للرحيل. سرنا حوالي ٣-٤ كيلومترات في الليل بمساعدة مصباح يدوي. وتم جمعنا بعدها في ناحية من (تركمان سارا) قرب كومة حشيش جمعها السوفييت علناً لدوابهم، حيث كانت توجد بضع سيارات سوفييتية، ثم تحدث الينا ضابط برتبة رائد يعرف الفارسية، معاتباً ايانا وقال «انكم بفراركم من الجيش فقدتم اهم قاعدة لكم ولم تنجزوا شيئاً» ثم اخبرنا بان الجيش وجه وحدة كاملة للقبض علينا، وهي تسلك طريق (فيروز كو)، «لذا فانكم حياتكم في خطر وهو ما اضطرنا لنقلكم الى مكان آخر».

في اليوم التالي وعند الغروب بدأنا مسيرتنا، وسلكننا الطريق الفرعي الى ان عبرنا حدود (أستارا) وارشدنا الى الطرف الآخر، وهكذا وفي اواسط آب استقر بنا الامر في قرية اسمها (شائولان) قرب (باكو) ونحن شبه اسرى، وامضينا ثلاثة اشهر (آب وأيلول وتشرين الأول) هناك، وفي الحقيقة كنا محتجزين محترمين.

وكما هو الحال في اي مكان مقفل، وعندما تجتمع مجموعة من الناس بعد عمليات وحوادث عدة، ليجدوا انفسهم لايفعلون شيئاً، فاننا بدأنا بالتصدي لبعضنا البعض، وبدأ كل يصب جام غضبه على الآخر، ففي البداية اكتسحتنا موجة من العداة لأذر، وكان يعتبر المسؤول الاول والاخير عن تلك الانتفاضة العقيمة، ثم بدأت الخلافات بيننا، لدرجة اضطرت المسؤول عن محل اقامتنا او سجننا (سمه ما شئت) للتدخل وكان ضابطاً برتبة رائد، فجمعنا وقال لنا:

انكم ضيوفنا. وان مصلحتكم تكمن في رقابتنا لكم بصورة ودية لبعض الوقت ههنا. فلا تضطرونا للتصرف معكم بخشونة، واستخدام الاساليب العسكرية.

## القسم الثاني

فرقة أذربيجان الديمقراطية



في خضم هذه الاحداث والآلام والتنافس والتصالح، وردنا ذات يوم نبأ قيام انتفاضة في آذربيجان.

والذي ابلغنا بالخبر كان الرائد المسؤول عن محل اقامتنا، حيث جمعنا وضمن حديثه الرقيق قال لنا:

- لقد انتفض شعب إيران. وقد انطلقت الانتفاضة من آذربيجان، وليست هناك قوة يمكن أن تقف بوجه الشعب عندما ينتفض. ولكن المنتفضين بحاجة الى جيش يسانداهم، وأمل ان أجدكم عن قريب في صفوف الجيش الشعبي لآذربيجان. واعتقد انه ليس هناك من يقود جيش آذربيجان غيركم، فأنتم من سيشكل التشكيلة الاولى لهذا الجيش ويقوده.

طغى شعاع حب العودة الى إيران والمشاركة في انتفاضة جماهير الشعب على كل المشاكل والمنافسات والخلافات، وبدأنا ننتظر بشوق ولهفة ساعة عودتنا الى إيران. كان ذلك قبل انتصار الثورة الشعبية في آذربيجان، في ١٢ كانون الأول، اذ كنا في اواسط تشرين الثاني وكانت الانتفاضة قد ظهرت بوادرها فقط. وبعد التشاور مع آذر قسّمنا السوفييت الى مجاميع، وأرسل آذر وسبعة آخرون في البداية، كانوا جميعاً يعرفون اللغة الآذرية، كانت مهمتهم قيادة وارشاد القدائين.

اما المجموعة الثانية فكانت مؤلفة من (٢٢) شخصاً كنت واحداً منهم، كلفنا بتشكيل اول وحدة عسكرية. في ٣١ كانون الاول وصلنا الى تبريز وكانت الانتفاضة قد انتصرت، وكانوا قد اعدوا لنا بيتاً في تبريز، واستقبلنا آذر الذي كان قد اصبح رئيساً لاركان الجيش، وفي اليوم التالي اقترحنا زياً عسكرياً لضباط وجنود جيش آذربيجان، وبعد ثمانية او عشرة ايام، كانت الازياء جاهزة، فارتدينا ولاول مرة الزي الموحد لجيش آذربيجان.

تأسست اركان جيش آذربيجان برئاسة آذر، واعتمد تنظيم وتشكيلات وعدد هذا الجيش فكرة الفرقة الديمقراطية، ولكننا نحن الذين قمنا بتنظيمه. ثم شكلت مديرية التجنيد برئاسة الرائد (شفائي) وبدأنا تجنيد الناس وأفدنا من المياني التي فر اصحابها لادارة الشؤون العسكرية، فاصبحت مسؤولاً عن ٣٥٠ جندياً ألبستهم الزي العسكري، واتخذنا دار احد الاغوات الفارين مقراً.

كنا نسعى لاعداد الجنود للاستعراض العسكري الذي كان من المقرر اجراؤه في تبريز في عيد نوروز ١٩٤٦ أمام بيششوري، وفعلاً تمكن جنودي من أداء الاستعراض بمدافعهم في اليوم المحدد.

ويعود الفضل في تمكننا من تشكيل جيش نظامي خلال شهرين ونصف الى التعاون السوفييتي معنا، فقد كانوا متقدمين في مجال التنظيم والتدريب. وفي اليوم الأول تم إطلاق عدد من القذائف المدفعية وبدأ الجنود إطلاق النار. وكان مسؤول المشجب عقيداً له صلاحيات صرف الاسلحة والاعتدة. لم يكن لأذر مستشارون، لكنه كان على اتصال دائم مع الضباط السوفييت، اما بقية الاقسام فكان لكل منها مستشاروها الذين كانوا من الضباط وضباط الصف الآذريين في الجيش السوفييتي والذين انضموا الى جيش آذربيجان فجأة.

ففي تشكيلتي مثلاً وهي (فوج مدفعية الاسناد المباشر للواء) والتي كان يسميها الآذريون «بريگاد توپ تابوري» كان هناك ملازم ثالث وسبعة أو ثمانية عرفاء من الجيش الاحمر، يعملون معنا، وكانت مهامهم تدريبية غالباً.

كان السوفييت قد زدونا بـ(٥٦) مدفعاً مضاداً للدبابات من عيار (٧٥ ملم)، و(١٢٠) مدفعاً من عيار (١٠٥ ملم) من المضادات الجوية، اضافة الى كميات كبيرة من قذائف المدفعية والاسلحة الخفيفة. وكان اغلب تلك الاسلحة ألماني الصنع غنمها الجيش الاحمر في الحرب، وكانت بحاجة الى تدريب لتعلم كيفية استخدامها. وكان الضباط وضباط الصف من الجيش الاحمر على حد إطلاعي لايتدخلون في شؤون القيادة، وكانوا يتصرفون بأدب، ويسعون لتعزيز مكانة قيادتنا. ولم يكونوا يتدخلون ابداً في شيء يس كرامتنا. فعلى سبيل المثال رفع احد العرفاء الذين كانوا عندنا ذات يوم تقريراً الى ضابط لهم برتبة رائد، وكنت عندها برتبة نقيب، وكان الرائد اعلى رتبة مني، فغضب الرائد وقال للعراف الا تستحي وانت تقدم لي تقريراً امام قائدك العسكري. فقد كانوا يعملون على افهامنا انهم جاؤوا لمساعدتنا فقط على اعداد جيشنا وانهم سيرحلون بعدها، وعلى اي، فقد كان الامر والنهي لنا في شؤوننا.

كانت لقوة آذربيجان المسلحة تشكيلات متنوعة، وكان ضباطها من انواع اربعة، فقد منحت رتبة ضابط لمن شارك في الانتفاضة من اعضاء الفرقة الديمقراطية وقادة نقابات العمال وفلاحي المنطقة، وكانوا قد منحوا انفسهم

رتبة ضابط ثم أيدت الفرقة هذه الرتب واقترتها، لم يكن هؤلاء قد تلقوا تعليماً عسكرياً بل ان الاحداث جعلت منهم ضباطاً، وكانوا ضباطاً فدايين. وكان قسم آخر من الضباط من المسؤولين الحزبيين الذين انخرطوا في اقسام الجيش كمرشدين سياسيين، او مسؤولين اداريين وقد منحتهم الفرقة رتبة ضابط، والقسم الآخر من الضباط كانوا من المتدربين في الكلية العسكرية الحديثة القيام. وبعد الانتفاضة تأسست الكلية العسكرية في أذربيجان وخرّجت بعد شهرين مجموعة من الضباط برتبة (ملازم ثان) و(ملازم ثالث)، اما بقية الضباط فكنا نحن الذين التحقنا بجيش أذربيجان من الجيش الإيراني، وكان عدداً حوالي سبعين ضباطاً تمثل العمود الفقري للجيش، وهكذا كان الضباط بأنواعهم الأربعة يعملون في جيش أذربيجان لكنهم يفتقرون الى التنظيم في العمل والمسؤوليات.

كان الضباط الفدائيون لا يلقون بالأحد، يتفخرون بوصولهم الى الحكم بقوة السلاح، وبأن رتبهم العسكرية نالوها بالدم والثورة، وانهم احق من غيرهم وافضل - اما نحن المتعلمون المتدربون فكنا نعد انفسنا اكثر خبرة في مجال ادارة القوات المسلحة، وكانت الظروف غير الطبيعية تعرض الاسس العسكرية للخطر.

منحت الفرقة الديمقراطية الضباط الفرس «كانوا يسموننا: فارس أفسرلر» رتبة اعلى، وهذا خلق نوعاً من التعقيد، لان الضباط المنشقين عن الجيش الإيراني لم يكونوا من فئة واحدة، فكان بعضهم من المشاركين في انتفاضة خراسان، وبعضهم كان قد فر من طهران ليلتحق بجيش أذربيجان، وبعضهم كان ممن خدم سابقاً في جيش أذربيجان، وبعد استسلام القواعد العسكرية في أذربيجان التحقوا بجيش أذربيجان الجديد، اما البعض الآخر فكانوا اما من الذين يفتقرون الى خلفية سياسية، او بقوا في أذربيجان بسبب الميل او لاسباب شخصية، وكان البعض من هؤلاء محاطاً بشبهات، لذا كان من الضروري إعادة النظر في الوضع.

اخيراً، دُعينا يوماً الى نادي الضباط لغرض عقد مؤتمر حضره السادة پيشوروي ويبريا ووزير الحربية كاويان، وبدأ المؤتمر اعماله بكلمة القاها پيشوروي اقترح حل المشكلة من قبل الضباط انفسهم باسلوب ديموقراطي، لكن

الامور تفاقمت بسبب صياح وضجيج الضباط الى ان وصلت حداً شتم فيه پيشوروي احد الضباط.

في تلك الأيام كانت تنشر شائعات، إما بسبب من الجهل أو لسوء نية، عن (فارس أفسرلر). بل أن الأمر وصل حد إطلاق النار على رفاقنا حيث قتل الرائد (صفوت) قائد الكلية العسكرية في حينه أثناء أداء الواجب. كما أطلقت النار على الرائد (خلعتبري) آمر فوج المدفعية وهو جالس الى منضدته أثناء العمل، لكن لحسن حظه ولارتباك منفذ العملية أصيب بجرح بسيط في ساقه فقط.

في مثل هذه الظروف عقد المؤتمر، وانتهى بجو صاخب مفعم بهتافات الضباط الفدائيين. وفي النهاية اقترح العقيد (پناهيان) الذي حل محل أذر في قيادة جيش أذربيجان تشكيل لجنة تقوم بتوحيد رتب الضباط وتتألف من عدد من الضباط وعدد من أعضاء اللجنة المركزية للفرقة. نال هذا المقترح القبول وبهذا تم حل المشكلة بصورة موفقة. وأصدرت اللجنة مجموعة قرارات لم يسمح الوقت بتنفيذها.

كما ذكرت كان أذر قد تولى قيادة أركان الجيش بدلاً عن پناهيان. وفي أيار ١٩٤٦ تم عزل أذر وبحجة منحه إجازة أرسل الى الجانب الآخر من الحدود. كان هناك خلاف بينه وبين پيشوروي، إذ أنه لم يكن يوافق على أسلوب قيادة الفرقة للجيش. وقام السوفييت بتوصية من پيشوروي بنقله الى باكو معزراً للاستجمام هناك. وبعد أن قضى عدة أشهر هناك أعاده السوفييت لدى جلاتهم عن إيران. فلقي الترحيب واعتذر اليه پيشوروي فنقل أولاً الى أورميه ثم الى أردبيل. وكان قد نقل الى تبريز عندما شن الجيش الإيراني هجومه، وذلك ليتولى مسؤولياته السابقة إلا أن الوقت كان قد فات.

قيل الكثير عن الانتصار والاندحار السريعين لثورة أذربيجان. لكني كضابط شهد تلك الظروف أرى أن السبب في الحالتين كان دعم وتعاون الجيش الأحمر، أو بعبارة أدق الإعتماد الفائق للعادة على الجيش الأحمر من جانب فرقة أذربيجان الديمقراطية. لاشك أن كل شعارات وأهداف فرقة أذربيجان الديمقراطية كانت مشروعة ولا شائبة تشويهاً: الحريات الديمقراطية واللغة والكتابة والتجمع والثقافة والحكم الذاتي ضمن إيران مستقلة، وفيما يتعلق

بتحسين الأحوال المعيشية للطبقات المضطهدة: تغيير العلاقة بين العامل وصاحب العمل والآغا والمزارع. كل هذه الأمور لم تكن قابلة للطعن فيها ولم تكن تثير حفيظة أي داعٍ لتحرر إيران. لكن تلك الشعارات والأهداف لم تكن قد مدّت جذورها في صفوف الشعب. فهل كان ممكناً خلال الفترة التي بدأت بتشكيل فرقة أذربيجان الديمقراطية واستمرت حتى انتصار الفرقة وثورتها في ١٢ كانون الأول ١٩٤٥، وهي بضع شهور فقط، حشد كل الجماهير العمالية والفلاحين وصغار الإقطاعيين الشعبيين في أذربيجان من أجل إشعال فتيل ثورة شعبية ديمقراطية؟ صحيح أن ظهور الفرقة تم التمهيد له عن طريق حزب توده الإيراني، وقد سبق ذلك ظهور بعض التنظيمات المتفرقة والهزيلة هنا وهناك في أذربيجان، لكن نشاطاتها في تلك الفترة القصيرة لم تكن تكفي لتغيير قواعد المجتمع الاقطاعي البرجوازي السائد في أذربيجان في تلك الفترة الى قواعد فكرية تهيء للثورة وتغير مسار المجتمع.

ربما كانت الظروف الموقنة والموقعية التي خلقها وجود الجيش الأحمر عوامل دفعت فرقة أذربيجان الديمقراطية الى الإسراع في تفجير الثورة وهي التي ساعدت في نجاحها. لم يشارك الجيش الأحمر في الثورة مشاركة مباشرة لكنه كان على استعداد للدفاع عن ثورة أذربيجان وكان هذا واضحاً في كل المعطيات، وكان هذا الشعور سبباً في استسلام معسكر تبريز وعزوفه عن المقاومة.

على أية حال فقد نجحت الإنتفاضة. وتم تشكيل حكومة أذربيجان الشعبية وقامت بإصلاحات جذرية طوال عام من حكمها، ومن هذه الإصلاحات: توزيع بعض الأراضي وتأميم بعض الصناعات ومصادرة أموال أعداء الشعب وتشكيل الجيش الشعبي لأذربيجان وتأسيس جامعة تبريز والعمل الدؤوب لتمهيد وتبليط شوارع تبريز. ولا تزال جامعة تبريز وشوارعها المبلطة تذكرنا بتلك الأيام. لكن الفرقة فشلت في تحشيد مشاعر ومساندة الجماهير الكادحة لصالحها. لماذا؟ لا بد من البحث عن السبب في البنية التي خلقت الانتفاضة وساعدت في انتصارها.

في تلك الأيام «وفي أيامنا هذه» كان انهيار ثورة أذربيجان يعزى الى عدم تكافؤ القوة بين المعسكرين الإمبريالي والإشتراكي في الساحة الدولية. ولكن

سبب انتصارها «عند الأخذ بالظروف الذاتية» هو هذا السبب نفسه. فقد كان انتصار الثورة الشعبية لأذربيجان نتيجة للمساعدة المستمرة من جانب الإشتراكية. ومع انقطاع هذه المساعدة «وذلك بسبب عدم تكافؤ القوى على الساحة الدولية» عن حكومة أذربيجان الشعبية انهارت هذه الحكومة.

أنا لست من المعادين للأمية، ولست ضد الدعم الدولي للشعوب المتحررة ولا للحركة العمالية العالمية، ولست أعادي التعاون الأخوي وتعاضد الكادحين بل أنا أؤمن بهذا كله. ففي عالم تكتم فيه الإمبريالية أنفاس الشعوب الضعيفة والكادحة في كل مكان، من السذاجة أن تتخلى هذه الشعوب عن التعاون فيما بينها. لكن هذه المساعدة، أو الدعم الخارجي هو مجرد تقوية الروح الثورية في المجتمع. أي أن الدعم الخارجي يعزز الروح الثورية في الداخل دون أن يولد الثورة.

والثورة الشعبية والديمقراطية في أذربيجان نموذج حي لمثل هذا الدعم. فالدعم السوفييتي لهذه الثورة كان أكبر من دعم ومشاركة الشعب الآذري الكادح. وهنا يكمن سر نجاح وانهيار الثورة. فقد كانت الثورة حية مع الدعم السوفييتي وعندما انقطع هذا الدعم لفظت الثورة أنفاسها.

في أذربيجان، وخاصة بعد جلاء الجيش الأحمر، خبت جذوة الثورة وبدأ أعداؤها بالتظاهر ضدها. كان السبب معروفاً فلم تكن الثورة قد مدت جذورها عميقاً وكان القائد الفعلي الوحيد للثورة هو پيشووري. كان قيامي وبادگان وكذلك إلهامي وفريدون إبراهيمي وآخرون رجالاً مؤمنين وخلا هؤلاء لم يكن بين أعضاء مقر الفرقة من يحمل فكراً ثورياً أو أن حماسته لها كانت قليلة. وكان هناك آخرون متعمدون انضموا الى الثورة ليس عندهم إلا بضع شعارات حفظوها عن ظهر قلب يرددونها بحماسة وهم يظنون أن هذا هو أساس العمل الثوري.

بل أن پيشووري نفسه كان يأتي في بعض الأحيان أعمالاً عجيبية وغريبة في الجيش بصورة خاصة. وكان يبدو أنه لا يثق في الجيش تمام الثقة فقد صب إهتمامه على الفدائيين وحدهم وهؤلاء أثارتهم ظروف خاصة فأتوا بعض الأعمال. وأذكر من أعماله أنه جاء ذات مرة يزور المعسكر، وعند وصوله كان ضابط الحراسات الملازم الأول ديانت يشرف على توزيع الطعام في المطبخ،

فبعث في طلبه ووبخه لأنه لم يجده في غرفته. أوضح الضابط المذكور أنه لا ينبغي لمثله أن يجلس الى منضدته وفي غرفته لا يبرحها بل عليه أن يراقب الكثير من الأعمال ومنها توزيع الطعام. فغضب پيشوروي «لتناول» ذلك الضابط وأمر الجنود بضربه، تردد الجنود الذين لم يكونوا يريدون ضرب ضابطهم فأمر حرسه بذلك، وانبرى الحرس «الفدائيون» وأوسعوا الضابط ضرباً. فتوقف الضباط عن العمل بضع ساعات احتجاجاً على هذا الإجراء، لكن استمرار مثل هذا الإجراء كان سيضر بالجيش في تلك الظروف الحرجة وهذا ما دفع الضباط الى استئناف أعمالهم لكن سخطهم بقي على حاله. بعد ذلك بدأ پيشوروي يحاول استرضاء الضباط بطرق عدة منها دعوتهم في ليالي الجمعة الى (شاگولي) ويتحدث اليهم عن ثورة أذربيجان وعن المهام المستقبلية وواجبات القوات المسلحة.

من خلال أحاديث پيشوروي وسلسلة الأحداث التي سبقت ذلك توصلت الى أن العلاقة بين السيد پيشوروي وحزب توده الإيراني لم تكن جيدة. وأذكر أنه في أول مجيئنا الى تبريز عقد إجتماع للتعارف مع پيشوروي وبعد الترحيب بنا وفي معرض إيضاحه موقف الفرقة الديمقراطية، قال: إن حزب توده يتكلم فقط ويرفع الشعارات أما نحن فقد حملنا السلاح وأنجزنا عملاً.

منذ ذلك الحين خلفت آراؤه تلك عن حزب توده انطباعاً سيئاً لدي. وعندما تمت دعوتنا فيما بعد للإضمام الى فرقة أذربيجان الديمقراطية قاومنا ذلك بصمت. وأعتقد أن هذه الأمور كانت أصل الخلاف بين پيشوروي وأذر. وقيام پيشوروي بشتم أحد الضباط في الإجتماع ودون سبب كما ذكرت، وضرب ضابط آخر، كانت أسباباً أثارت الخلاف بين ضباط الفرقة والضباط «الحكوميين». ثم علمنا أن حزب توده كان يعارض أصلاً أن تقوم الفرقة باحتواء التنظيمات الحزبية وتمييعها، وكان لا يؤيد الأعمال الأخيرة للفرقة، إلا أنه كان يواجه أعمالاً تمت فما كان منه إلا القبول بالأمر الواقع.

على أية حال، بعد جلاء الجيش الأحمر، كانت الحماسة الثورية تخبو شيئاً فشيئاً، ولم يتخذ أي إجراء للمحافظة على الروح المعنوية. وبعائتقادي فان هذه الروح الثورية كانت الى حد بعيد نابعة ومنذ البداية من روح انتهازية. إذ كان في الفرقة الديمقراطية عدد لا يستهان به من «المهاجرين» تسنموا مهام رفيعة

كوزارة الدفاع الدفاع ورتاسة البلدية ورتاسة الحرس ورتاسة الانضباط ومركز الشرطة... الخ. وكان هؤلاء المهاجرين ومنذ قدومهم الى إيران قد خلقوا انطباعاً سيئاً لدى الجماهير، إذ كانت تصرفاتهم همجية وكانوا متطرفين جداً عندما كانوا مسلحين في الفرقة «ظناً منهم أن هذه هي الروح الثورية»، وكانت الانتهازية تتمثل فيهم رغم أن جزءاً من جماهير أذربيجان لبي نداء الفرقة في البداية قلباً وقالباً.

لم تكن هذه وحدها الاسباب الرئيسية لسخط الناس فقد كان المعارضون من الطبقة الكادحة يجتمعون في تبريز علناً وأشيع في تبريز ان مجموعة منهم اجتمعت في أحد شوارع تبريز وهي تهتف:

- يعيش.

فسأل أحد البقالين واحداً من المتظاهرين:

- من تقصدون؟

فأجابه هذا قائلاً:

- ليس معلوماً بعد.

أما نحن فلم تكن نختلط بالناس الا قليلاً وعندما كنا نتحدث الى احدهم كان يدرك على الفور باننا لسنا من أذربيجان فكان يحسن التعامل معنا ويقول لنا بصراحة: انكم اناس نستطيع التفاهم معهم. هكذا الناس ينفرون من فدائيي الفرقة وربما لان مصالح بعضهم كانت معرضة للخطر.

ومع اننا كنا نقيم في المعسكر بعيداً عن الساحة فاننا كنا نشعر بان عمر هذه الظروف قصير. لان الحكومة كانت لا تُشعر الشعب بانها حكومتهم، لتحتهم بذلك على مسانبتها وتنفيذ توجيهاتها وعندما بدأت الاتصالات بين طهران وتبريز وزار (مظفر فيروز) النائب العام لحزب (قوام السلطنة) تبريز وذهب (پيشوروي) الى طهران لايجاد حل سلمي لقضية أذربيجان ظهرت بوادر اشعرتنا بانتهاء الثورة الشعبية في أذربيجان. وأذكر جيداً ان احد ضباطنا شم كتافيته وقال: إن رائحة النفط تفوح من كتافياتنا.

لاشك اننا نحن الضباط كنا بعيدين عما يجري وراء الكواليس ولم تكن لنا اجتماعات او ندوات لنتزود من خلالها بالمعلومات، وما كنا نراه كان على اساس مصالحنا، وعلى اية حال كان هذا شعور اكثر تبتنا، وظهر اخيراً اننا لم

نكن نجانب الصواب كثيراً في ظنوننا وشهدنا بانفسنا النتائج.

بعد ان اتضح فشل الحوار قررت الحكومة الإيرانية ارسال قواتها الى أذربيجان، فعقدت عدة ندوات في المدن الأذربيجانية كان محورها تشجيع الناس على الدفاع في الظاهر، وشعار «أولئك وار، دوتك يوخدر - اي: تقبل الموت ولا للتراجع» واحد من ذكريات تلك الايام. وارسلت قطعاً من جيش أذربيجان بسرعة الى الحدود للدفاع.

عند انسحاب السوفييت اخذوا معهم كل مازودوا به جيش أذربيجان من معدات، ومنها المدافع. كان بحوزتنا اربعة مدافع من عيار ٧٥ فقط وهي من مخلفات جيش أذربيجان السابق. وكانت أنا قائد كتيبة المدفعية تلك. ارسل مدفعان بإمرة النقيب (هُرمزان) الى (قافلانگو) والاثنتان الآخران ارسالاً بامرتي الى جبهة (سقر) لنجدة جمهورية كُردستان الشعبية.

عندما توليت الواجب في جبهة سَقَر كان ملا مصطفى البارزاني قائد تلك الجبهة، نقلت المدفعين الى قرية (سَرا) التي تبعد ثلاث كيلومترات عن سَقَر، وكانت هذه القرية على خط الحدود الفاصل بين جمهورية كُردستان الشعبية والجيش الإيراني، بعد التعرف على خط الجبهة نصبنا المدفعين في موقع مشرف على سَقَر بانتظار الأوامر.

لم تقع أيّ مواجهات في أيّ جبهة، إلاّ عند تنقل القوات وحفر الخنادق في قافلانكو، إذ استشهد الرائد (قاضي أسدالله) ذلك الرجل المؤمن الشجاع. وكنا نترقب الوثوب والرد عليهم والانتقام لرفيقنا، وفجأة ضاعت آمالنا كلها.

في ليلة ١٢ كانون الأول توجهت الى قرية (آلتون السفلى) وكان مقر إسنادنا في احدى دور القرية، وعندما كنت جالساً هناك اطالع الرسائل التي وصلت الينا أبلغوني بأن فارساً جاء يطلبني.

كان الفارس يحمل رسالة من العقيد (عزت) رئيس اركان ملا مصطفى الذي اعدم فيما بعد ببغداد - كان محتوى الرسالة إعلان صادر عن فرقة أذربيجان الديمقراطية وعن كُردستان، يقول أنه تجنباً لإراقة الدماء والاقتيال بين الأخوة فقد قرر الجانبان عدم خوض حرب دفاعية وأن ينسحب جيش

أذربيجان الى قواعده. كان العقيد عزت قد كتب ملاحظة علاوة على الاعلان: «عزيزي السلطان...»

لقد هرب، بيشووري وقادة الفرقة، وبلغ جيش الحكومة المركزية تبريز والتف على جبهتنا وسقطت (مياندواو). فمن اجل حماية الخطوط الخلفية للجبهة عليكم بالتوجه الى (بوكان) وإقامة خط دفاعي قبالة مياندواو.»

جعلتني الرسالة أشعر بالحيرة.

كان الرائد (پيرزاده) قد ارسل الى اركان ملا مصطفى في سَرا من قبل حكومة أذربيجان، فقررت الاتصال به لوضع خطة للانسحاب، ارسلت رسولاً الى الملازم الاول (رئيس دانا) الذي كان في الجبهة ليجمع المدافع ويتوجه الى آلتون السفلى وذهبت الى قرية سَرا. التقيت هناك ببعض ضباط أذربيجان الذي جاؤوا لمساعدة جبهة كُردستان، وهم (أصغر احساني) قائد فوج المشاة و(محمود تيواي) مسؤول الخط الخلفي و(مرتضى زَربخت) الضابط الجوي، كانت مهمة زَربخت أكثر الأمور إثارة للسخرية، كانوا قد ارسلوه لتحديد الاهداف الارضية والعودة بالطائرة على جناح السرعة لقصها. في أذربيجان كان هناك طائرتان فقط احضرهما (مرتضى زَربخت وعلي جودي) من طهران، هاتان الطائرتان لم تكونا مزودتين بقنابل، فكان يتحتم قصف الاهداف بالقنابل اليدوية.

تبيّن ان رئيس الاركاب پيرزاده سبق الجميع الى ترك مقر القيادة. وكان سائق دراجة قد احضر اعلان عدم الدفاع الى سَرا فاستقل پيرزاده الدراجة مع سائقها، بغية التأكد من الخبر! وظهر بعد ذلك انه وصل الى الاتحاد السوفييتي.

سألت عن الجنرال (عظيمي) ضابط أركان مياندواو فلم أحصل على أي رد. بعد ذلك قبض عليه في تبريز واعدم. فاضطرت للذهاب الى العقيد عزت، الذي قال لي:

- الحقيقة ان قادة الفرقة الديمقراطية قد فروا جميعاً، ولم يعد هناك شيء يسمى (فرقة)، والجيش الإيراني سيحتل في الايام القليلة القادمة أذربيجان كلها. يجب ان تتخذوا قراراً بشأن مصيركم! فعشيرة بارزان

ليس عندها ما تدافع عنه هنا. في الحقيقة نحن معلقون في الهواء. وانتم ايضاً. لن تتمكنوا من الوصول الى تبريز فأعداء الثورة على الطريق، وإن لم يقتلوكم لأي سبب فللحصول على أسلحتكم، وحتى اذا وصلتكم الى تبريز فلا تعلمون ماذا سيكون مصيركم، ان واجبكم وواجبنا هو الحفاظ على ارواحنا، نحن سنسحب الى مهاباد وانتم احرار، اذا اردتم ان تأتوا معنا فتعالوا.

علمت بعد ذلك ان السوفييت كانوا قد نصحوا بيشووري بعدم مواجهة الجيش الإيراني، وان يعبر اعضاء اللجنة المركزية للفرقة الديمقراطية الحدود الى الاتحاد السوفييتي، تمكن الضباط وعائلاتهم التي كانت في تبريز من التوجه الى الاتحاد السوفييتي بدعم واسناد من آذر، بعد ذلك تم فتح الحدود امام الجميع، فقد وصلتنا اخبار مفادها ان معسكر أردبيل تمكن بكامل تجهيزاته من عبور الحدود، ولو لم يصب قادة الفرقة بالذهول والسعي للنجاة بأرواحهم لتمكنوا من جمع كل قطعات الجيش والفدائيين والناس الذين كانوا معرضين للاعدام والانسحاب بشكل منظم. وحتى لو تطلب الامر القتال فلا شك بان الحسائر كانت ستقل كثيراً عن خسائر الايام الثلاثة التي استبيحت فيها تبريز والمدن الاخرى.

من اجل المحافظة على قواتنا واسلحتنا قررنا التوجه الى مهاباد التي كان القاضي محمد رئيس حكومة كردستان الديمقراطية لا يزال فيها. تلك المدينة كان من الممكن ان تكون لنا ملاذاً آمناً.

تقرر ان يتوجه إحساني بفوجه الى بوكان حيث مقر تموين الجبهة، وان يحمل كل الارزاق في سيارة ويتوجه عن طريق مدينة (برهان) الى مهاباد. واشحن انا المدافع في سيارة واتبعه، ولانه لم تكن لدينا سوى سيارة واحدة ارسلنا الباقين بالبغال تحت امرة احد الضباط على نفس الطريق. وتبعنا البارزانيون بالحركة سيراً على الأقدام كقوة مدافعة.

عند وصول إحساني والضباط الآخرين الى بوكان، يجتمع السكان المولعون بالسلاح ويحجّة انقاذهم ياخذون اسلحتهم ويجبرونهم على الفرار. باختصار بعد ان عاد الضباط لم يجدوا من فوج تعداده خمسمائة شخص أحد، فقد تفرق الجنود كل الى جهة اختارها، وعندما لمس الضباط السبعة: إحساني

وزرّخت وكيوايوأرتشيار وتوكلي وأصغري ونيكولا ماكاريان، ذلك الوضع المضطرب استقلوا السيارة التي كانت تحمل الارزاق الى مهاباد.

خلال الاشهر القليلة التي أمضيتها في كردستان تمكنت من التعرف على طباع الناس هناك. كان الناس ونتيجة للسنوات التي عاشوا فيها تحت نير الاقطاع. قد اكتسبوا طباعاً عامة مميزة في تلك الظروف، كانوا يميلون الى الظلم الذي فرضه عليهم الاقطاع. وعندما تسنح لهم الفرصة يظلمون من يقع تحت سيطرتهم ويستغلونه كما استغلهم أغواتهم. ويصبون جام حقدهم الذي خلفه الاقطاع فيهم على من يقع تحت سيطرتهم، لاشك ان سكان المدينة لم يكونوا كذلك لانهم كانوا قد تحرروا من تلك القيود الى حد ما، وكانوا يريدون بناء مجتمع متحضر.

من خلال معرفتي هذه بطباع الناس، كنت كما يقول المثل أستطيع (استخراج سجاتي من الماء). فقبل ان أدخل أي قرية كنت اطلق قذيفتي مدفع او اكثر دون هدف، وعند عدم وجود المدافع كان الناس مع اطلاق اول رصاصة او صراخ يلبون ندائي طائعين، وكان الذين يمتنعون قبل ذلك عن بيعنا رغيفاً او بيضة ويسعر يزيد اضعافاً عن سعره الحقيقي، يحضرون لنا اية كمية من الطعام دون مقابل. بينما في السابق عندما كنت تطلب منهم راجياً متوسلاً اي طلب كنت تتعرض للاهانة. كان السلاح مطلبهم المشترك.

كانت هذه الأوضاع تسود في بوكان على وجه الخصوص. ومما يجلب الانتباه ان الكُرد الذين اخذوا سلاح فوج بكاملة وطاردوه كان اكثرهم من فدائيي وپيشمرگه حكومة كردستان الشعبية.

قبل ان نصل الى بوكان حدثت جنودي عما أصاب فوج إحساني وطبيعة اهل المنطقة، وافهمتهم بانه لو بقينا معاً فان الخطر سيكون أقل، ولاننا لم نكن نعرف ظروف المنطقة جيداً فانه حتى لو تمكنا من انقاذ انفسنا من البرد فاننا لن ننجو من الانتهازيين. ووعدهم بأن أرسلهم حال وصولنا الى مكان آمن، ونفذت وعدي فعلاً، استحسن الجنود توجيهاتي. ووصلنا الى بوكان في منتصف الليل. نسيت أن اذكر ان اهالي بوكان كانوا قد اسروا ثلاثة ضباط هم: الرائد خاكساري والنقيب زهيري والملازم حَقْبَرَسْت مدعين أنهم يخفونهم، والحقيقة انهم كانوا قد اخذوهم ليسلموهم الى الجيش الإيراني عند وصوله،

كي يخلصوا انفسهم من تهمة مساندة حكومة كُردستان الشعبية.

في هذا الجزء من مذكراتي ورد اسم إحسانني عدة مرات، وكما رأينا فانه جرح في كُوبت وارسل الى طهران، وسجن مع بقية ضباط انتفاضة خراسان الذين القي القبض عليهم: بهرام دانش وحسين فاضلي وعلي سنائي في مقر الانضباط المركزي. بعد تشكيل حكومة أذربيجان الشعبية وعند محاكمتهم تمكنوا من الفرار والالتحاق بجيش أذربيجان كانت خطة هروبهم قد وضعت من قبل الشهيد البطل روزي ونفذت بمساعدة الرائد «حميدي» الذي فر والتحق هو الآخر بجيش أذربيجان. ونتيجة لذلك اعتقل اربعة من الجنود وحكم عليهم بالسجن ثمانية اشهر اعيدوا بعدها الى الجيش لاكمال خدمتهم.

لنعد الآن الى سرد الاحداث:

اوصانا الرائد جلال وهو ضابط كُرد من العراق، بان نطلق النار على الاهالي، دون إصابتهم، لو اقتربوا منا كي يخافوا من جهة ولا تهبط معنويات جنودنا من جهة اخرى. كنت خائفاً من احتمال وقوع اي اعتداء مفاجيء ما جعلني متردداً في تنفيذ توصيات الرائد جلال، ولكن عندما رأيت ان ترددني يشكل حافزاً لهم، فأحاطوا السيارة دون ان يأبهوا لتهديداتي بالسيارة وياتت حملتها في خطر، أطلقت عدة اطلاقات تحت اقدامهم، وعندما شاهدني الاهالي اهيء نفسي لاطلاق النار مرة اخرى تراجعوا، ولكنهم ظلوا وراءنا على بعد خطوات. إن تصرفات الاهالي هذه ذكرتني بقصة كنت درستها في الابتدائية «موت الحمار ورقص الذئب»: كانوا ينتظرون ان تغوص سيارتنا في الطين ليهاجمونا. كانوا متلهفين الى البندقيات فقط.

على كل حال بعد قضاء ثلاثة ايام تحت رحمة البرد والغوص في الطين وصل كافة الجنود الى مهاباد، واضطرت الى إخفاء المدافع في مكان ما بعيداً عن الطريق لان سيارتنا غاصت في الطين ولم نتمكن من اخراجها. ثم وصل الجنود الذين تبعونا بالبغال أيضاً.

بلغنا مهاباد في ١٥ او ١٦ كانون الأول ١٩٤٦ ودون أي إعاقة تمكنا من الذهاب للقاء القاضي محمد لكنه لم يكن هناك، وقالوا بانه ذهب الى (مياندواو) لاستقبال الجيش، وقال لنا وزير الدفاع - امير حسين محمد - اننا لانعرف ماذا نفعل، ولكنني اعتقد أنه يفضل عدم بقائكم في مهاباد، لانه

ليس مستبعداً ان يصل الجيش في أية لحظة.

طبعاً لم تنتظر وصول الجيش الى مهاباد، كذلك لم نر الجيش الإيراني يدخل تبريز بل سمعنا عنه، وعلمنا ان الجيش قد عسكر في (باسمينج: قرية قريبة الى تبريز) قبل ثلاثة ايام من دخولها وأنه أطلق يد السفاحين اعداء الثورة ليرتكبوا الجرائم النكراء ضد سكان تبريز الابرياء. فقتلوا الرجال واعتدوا على النساء ونهبوا البيوت واحرقوها. وبعد الايام الثلاثة دخل الجيش منتصراً الى تبريز ونفذ الجرائم التي لم ينفذها المرتزقة من تنفيذها. فالقوا القبض على ٢٦ ضابطاً وبعد محكمة هزلية حكموا عليهم بالموت وهم: الجنرال ابو القاسم اعظمي والعقيد مرتضوي والرائد قاسمي وجودت و آگهي والنقيب غفاري وجعفر سلطاني و(١٩) آخرين - هؤلاء اعدموا رمياً بالرصاص - أما فريدون ابراهيمي ورامين وقولي صبحي وآخرين فقد اعدموا شنقاً. بعد ذلك علمنا ان عشرين الف مواطن قتلوا في تبريز لوحدها، وفي نفس الفترة اعدم أربعة ضباط رمياً بالرصاص في مهاباد. وهم زهيري وحَقْبَرست وسَقاوي و خاكساري الذين اسرهم اهالي بوكان.

هؤلاء الشهداء انضموا الى الثورة في أذربيجان مؤمنين بأن ذلك هو السبيل لتحرير بلدهم كله. وكان اهل أذربيجان طوال تاريخنا المعاصر في الطليعة لقيادة مسيرة الحرية في إيران. وفي هذه المرة ايضاً كان الناس ينتظرون ان يمتد شعاع الحرية من مشعل الحرية المتقد في أذربيجان الى كافة انحاء إيران، ولكن مع الاسف لم تخلف لنا هذه الانتفاضة سوى الاف الشهداء و ذكريات مرة وأليمة - لكن لماذا؟؟ اعتقد أثنى ذكرت السبب آنفاً. فاذا كانت هذه الانتفاضة نابعة من صميم الشعب الآذري، لما أمكن ابدأ إطفاء جذوتها بهذه السهولة، حتى لو انعدم دعم الرفاق من خارج الحدود.